الفروسيَّة الشِّعريَّة في إبداع

خالد الفيصل



Bibliotheca Alexandrina
12366604
892
F2

الدكتور عبد الله بنصر العلوي

إهداء ٢٠١٤

الأستاذ الدكتور خالد عزب

جمهورية مصر العربية

الفروسيّة الشّعريّة في إبداع

خالد الفيصل

الدكتور عبد الله بن نصر العلوي

الفروسية الشعرية في إبداع خالد الفيصل



صورة الغلاف : (١٣٩ x ١١٠سم) بعنوان :

نشوة العز

لسمو الأمير خالد الفيصل

- الفروسية الشعرية في إبداع خالد الفيصل
- تأليف : د.عبد الله بنصر العلوي
- الطبعة الأولى - ربيع الأول 1429 / مارس 2008

- جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

- منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية ومجموعة البحث في التفاعل الثقافي المغربي السعودي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظ.م. فاس المغرب
- الإيداع القانوني : 2008/612
- طبع : مطبعة النجاح الجديدة - الدارالبيضاء

الإهـــداء

إلى شعراء القصيدة النبطية
ممن صانوا فصاحة اللغة وجزالة الشعر

مقدمة

يا فارس الأشعار مني تحيه
مع ريشتي حاولت أصور معانيك[1]

❖ ❖ ❖

أصور العمر في شعري وفي رسمي
وعاداتي آسافر الأيام بلحالي[2]

في إبداع سمو الأمير خالد الفيصل مسيرة فنية وفكرية حافلة بعطاءات ثرة، أثبت فيها صاحبها جدارة الفنون العربية بمكانتها اللائقة بإسهامها الحضاري، لأنه لم يكن شاعرا باللفظ فحسب، ولكنه كان فنانا بالريشة أيضا مما يكشف عن إدراك سموه الواعي بالفن من حيث هو تعبير عن الذات والآخر والكون، تتشابك فيه عناصر صدق التجربة وعمق الرؤية وجمالية الإنجاز. لذلك كان سموه مبدعا بالقدر الذي رسم علاقة متينة بين ممارسة مجالين متكاملين هما الكلمة والصورة، وفق مقاربات جنح فيها الخيال إلى

---

(1) أشعار خالد الفيصل ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1421هـ/2000م، ص : 121.
(2) أشعار.. ص : 447. بلحالي : أي لوحدي (كل الشروح الواردة في الهوامش منقولة من المصدر نفسه).

رحابة الفضاء وإلى أغوار النفس، متشبثا بالواقع وما ساده من ضرورة الانتماء إلى مواصفاته التي جسّدت جمالية الألفة وعلائق الإبداع التي توالدت بنياتهما وتناسلت اتجاهاتهما لكون العاطفة لدى الأمير المبدع جياشة لا بحكم الاندفاع الانفعالي، بل بحكم الرغبة في التأمل والحكمة في المقصد، فاستطاع بذلك أن يكون شاعرا حقق لفروسية الكلمة آفاقها المتجددة، وفنانا حقق لفروسية الصورة أبعادها المتنامية.

وإذا كان الأمير خالد الفيصل قد اختار المشاركة في المجالين معا، فلأنه ملك نواصي الإبداع مجتمعة حيث التلاحم بين الكلمة والريشة فعبّر عن الصورة ورسم الجملة بقدر كبير من الشاعرية والانسجام. وكأني بالشاعر المبدع - أي شاعر - لا يرتقي بإحساسه إلا إذا استطاع أن يرتاد كونا شعريا تتجمع فيه الفنون لا بإدراكها فحسب، ولكن بممارستها. وذلك ما يجعل خالد الفيصل في أشعاره ولوحاته نموذجا لشاعرية يلتحم فيها سمو الكلمة ورقي الصورة بما أودع فيهما من طاقات إبداعية جُلّى وبما حقق لهما من رؤى شعرية موحدة بينهما.

لذلك جاء هذا الكتاب ليكون مقاربة لموضوعة الفروسية الشعرية في إبداع خالد الفيصل، باعتبارها رؤية فنية حضارية ومرجعية بدوية تعبّران عن الفضائل والقيم المحددة لسلوك الفرد والجماعة. وتجلى ذلك في بيئة عربية جسدت حضورا فاعلا لأصالة الطبيعة وجمالية

المكان وفضاء الصحراء.. وما احتواه هذا الحضور من مشاعر الحب والبطولة والإبداع، وتمثلته دلالاتها من العفة والصفاء والنقاء.

لهذا، فجدير بنا أن نتأمل عالم الإبداع لدى سمو الأمير خالد الفيصل الذي يشمخ فيه بمنجزاته الفنية في تحقيق لون الحروف وإيقاع الألوان.

والله الموفق لسواء السبيل.

فاس في 12 ربيع الأول 1424 الموافق 14 ماي 2003

الدكتور عبد الله بنصر العلوي

مدخل

يندرج هذا الموضوع في سياق مشروع دراسة موسعة تهدف إلى تحليل بنيات القصيدة العربية، القديمة منها والمعاصرة، الفصيحة منها والنبطية، وهو اهتمام تولد لدي من طول ممارسة النظر في الشعر العربي وفي الدراسات النقدية المقاربة له، إذ أن الإبداع والنقد يتواءمان في سبل متعددة تكشف عن قدرة الذات المبدعة وتجلياتها الحريصة على التجاوب بين الشعر والذات والكون. كما تكشف عن قدرة الذات المتلقية في روم المعالم النقدية بأبعادها الجمالية والفنية.

وفي هذا التواؤم تجسيد للعلاقة الحميمية بين المبدع والمتلقي، باعتبارها حواراً بين النص والقارئ، ولا يقتصر الأمر على وجود المتلقي في وعي المبدع فحسب، ولكن أيضا في وجود المبدع في ذاكرة المتلقي، مما يعتبر استجلاء معرفيا لارتياد الآفاق التي يحلق فيها المتلقي سواء أكانت قراءته قراءة استرجاعية أم اكتشافية أم تأملية، إذ أنه - بإدراكه لحاجياته وهو يقبل على قراءة ما - يتطلع إلى فتح سبل يبحث فيها عن ذاته بتلقي الإبداع الشعري. وتشكل - عندي - هذه العلاقة الجدلية بين المبدع والمتلقي تفاعلا بين جملة من المعطيات من حيث أن حوافز الإبداع ودوافع التلقي يستمد كلاهما من الواقع السموَ به، ومن التخييل مقاربةَ وظائفه، ومن آليات النص الوعيَ بأبعاده.

كما يفضي هذا التفاعل في معطياته إلى البحث عن إدراك مجالات التداخل بين ما هو شعري وبين ما هو شاعري، باعتبارهما يجسدان مهمة في الفعل الإبداعي، وهي تتطلب مقومات البحث عن الحوافز التي بها يبدع الشاعر وبها يعي القارئ.. وبين عمليتي الإبداع والوعي نزوع إلى وحدة الكون الشعري، بما لها من حضور فاعل وتجاوب قوي يجعل الشعري والشاعري نهجا واحدا يتلمس سبل نظرية نقدية/إبداعية بها يدعم الشاعر إبداعه وبها يُفَعِّل المتلقي قراءته.

والبحث عن مقاربة هذه الرؤية[3] لا يتطلب مراجعة كتب النقد أو آراء الشعراء النقاد.. بقدر ما يستوجب التوغل في النص الشعري لكشف ما يدعم كتابته الإبداعية ويسهم في تفعيل قراءاته – بمختلف توجهاتها – في ضوء مرجعية تخضع للشروط التراثية والحداثية.

ولا نزعم في هذا الصدد أن الحداثة تتجاوز التراث لتلغي توجهه الحضاري بما له من إمكانية التفتح والاستمرارية والتطلع إلى التجاوب وتعدُّد الرؤى.. إن الحداثة فعل يسمح بالتجدد، وهي بذلك «انفجار معرفي وحركة لا نهائية من السؤال والبحث والتجدد».

كما أن استيعاب التراث فعل يُحَمِّل الحضارة منهج الاصطفاء الذي يكشف عن إمكانات التواصل بين ما هو ماض وما هو حاضر.. لأن الانتماء إلى جيل ما أو عصر ما أو ثقافة ما، هو إنجاز للحس السرمدي الذي يجعل كلا من المبدع والمتلقي واعيا بحضوره الإنساني في تاريخه، أي بقدرته على التواصل الذي به تتحقق المعاصرة.

---

(3) قد تتكرر بعض المقاصد النقدية العامة للفروسية الشعرية في عدة دراسات ننجزها عن عدد من الشعراء.

وتجسيدا لهذه الرؤية وإدراكا لذلك التصور عملتُ كقارئ متلق للقصيدة العربية، القديمة منها والمعاصرة، الفصيحة[4] منها والنبطية،على استجلاء معالم نقدية من خلال النص الشعري وتلمس تجلياتها فيه، وهي تمثل إبراز سلوك الشاعر في عمليته الإبداعية بما يملكه من مقومات ويتوسل به من آليات من أجل الإفصاح عن خلفياته النقدية التي تكسب فكره وإبداعه توحدهما وتوهجهما. فإذا كان هناك الآخر والذات، أو الخطاب والإبداع، أو الكون والشعر، فإن الشاعر حين يبدع ضمن أية فعالية لعلاقة ما يستحضر الحافز المؤطر لتجربته ليكسب إبداعه منهجه وفعاليته وتأثيره ومقصديته إخبارا وإقناعا وإمتاعا. ومن ثم تبدو العملية الإبداعية في حقيقتها تجربة نقدية، أي استثمارا صريحا أو ضمنيا للثقافة النقدية في النص الإبداعي دون تحويله إلى خطاب نقدي عالِم أكاديميا كان أم مدرسيا، ولذلك يصبح الشعراء نقادا في نظرنا من خلال إبداعهم[5]، هذا ما نعته الدكتور عبد الله الطيب بمصطلح البطولة الشعرية[6].

ومثل هذا البحث في الفروسية الشعرية[7] الذي نتطلع إليه هو غور في القصيدة العربية، وهو رؤية تستشرف بُعد النظرية، وتطمح إلى

(4) تجلى هذا الاهتمام في دراسة القصيدة العربية في كتابات الباحثين د. عبد الله الطيب ود. محمد الدناي.

(5) نستبعد هنا ما يقوله الشعراء في تصريحاتهم من وجهات النظر عن تجاربهم الشعرية أو ما يؤلفونه من كتب نقدية.

(6) القصيدة المادحة، د.عبد الله الطيب، الخرطوم، 1973، ص : 13.

(7) اصطلح بعض الباحثين في هذا السياق ما أسماه بالمكون الميتا شعري. انظر : المكون الميتا شعري في القصيدة الحديثة بالمغرب، محمد علوط، العلم الثقافي، س : 26، 7 أكتوبر 1995، ص 7 و10. وهي دراسة أشارت إلى أن "انصهار الصوت الشعري في خطاب الشهادة تجسيد لبطولة الشاعر وبطولة الشعر..". وقد تميزت هذه الدراسة بكونها توسلت ببعض معطيات التحليل اللساني المعاصر.

المنهجية. وهذا ما يجعلها تطلعا إلى قراءة جديدة في الإبداع الشعري العربي، وقد حاولنا مقاربتها في عدة دراسات تتعلق بالشعرية العربية الفصيحة[8] والنبطية[9]. وسنحاول في هذه الدراسة مقاربة نفس الرؤية في أشعار سمو الأمير خالد الفيصل النبطية ولوحاته الفنية بما لهما من التمايز والخصوصية.

ونحلل هذه المقاربة في المباحث الآتية :

أولا – فعالية الشعر النبطي : التراث والحداثة.

ثانيا – الفروسية الشعرية : المصطلح والرؤية النقدية.

ثالثا – النسب الإبداعي.

رابعا – المكوِّن الإبداعي.

خامسا – المقومات الإبداعية.

سادسا – النسيج الإبداعي.

سابعا – التضام الإبداعي.

---

(8) راجع كتابنا – : أبو سالم العياشي، الأديب المتصوف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1419هـ/1998م.
– أطروحتنا : الشعر السعدي : تفاعل الواقع والفكر والإبداع، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2006.
– مقالتنا : البطولة الشعرية في أدب المغاربة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، س. 2، ع. 5، محرم 1415 يونيو 1994، ص ص : 24-31.
– دراستنا : البطولة الشعرية في الشعر المغربي المعاصر، ضمن كتابنا : في الأدبية المغربية، فاس 2003. ص.ص : 81-131.

(9) راجع مؤلفنا : البطولة وتجلياتها في الشعرية الإماراتية 1998 (مرقون).

أولا - فعالية الشعر النبطي :
التراث والحداثة

إن مقاربة نظرية الفروسية الشعرية في أشعار خالد الفيصل يتعلق بالقصيدة العربية النبطية، ونعني بها القصيدة التي كتبت باللهجة العامية الوثيقة الصلة بالفصحى، وذات الارتباط الشديد بلغة القبائل في الخليج والجزيرة العربية حيث تتداول باسم الشعر البدوي، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته[10]، أو باسم الشعر الشعبي كما ورد عند كثير من الباحثين في أدبيات الخليج والجزيرة العربية.

وإذا كانت هذه القصيدة تجسد عروبتها، فلكون شعرها يرتكز على جملة من المقومات أشار إليها بعض الباحثين :

«1- كونه يعتمد على لهجات القبائل المتصلة أشعارها بفصيح قريش في الكثير من الأوجه.

2- كونه يقتدي بالشعر الجاهلي ويقترب من لغته وظواهره الفنية والإيقاعية.

3- كون الشعراء يحرصون على التعبير بلهجات القبائل، لا لكونهم ينفرون من الفصيح، ولكن لحرصهم على جعل الأشعار تستجيب لإحساس الجماعة بشكل أقوى وبتعبير عال.

4- كونه يهتم بتسجيل الوقائع والأحداث التي لها ارتباط بحياة البادية العربية.

5- كونه يحمل الفضائل العربية في أصفى ينابيعها مجسدا نقاء السلوك العربي»[11].

---

(10) المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص : 527.

(11) خطاب العروبة في الشعر العربي، الدكتور مانع سعيد العتيبة، أبوظبي 2000، ج 2، ص : 748.

وبذلك تكون القصيدة النبطية نمطا فاعلا في الشعر العربي في آن واحد أصلا وامتدادا : فهي أصل من حيث كونها تمثلت في قدمها لهجات القبائل العربية بمختلف فروعها، وهي امتداد من حيث كونها شاعت مع هجرات قبائل بني هلال خاصة إلى ربوع البادية العربية، فكانت أنماط الحُمَيْني والشروقي والجوفي والقسيم والحساني وغيرها من الأنماط المتجددة متأثرةً بالقصيدة النبطية. ومن ثم يكون ارتباطها بالأصول الثقافية القديمة امتدادا إبداعيا إلى يومنا هذا يشكل دلالة وحدة التواصل العروبي في الزمان والمكان.

إن البحث في هذه الظاهرة الإبداعية - وإن تغافل عن تدوينها مؤرخو الشعر العربي - يشَكِّل سبلا متعددة حرص الباحثون المعاصرون فيها على جمع قصائدها وصنع دواوينها، مما يعتبر سلوكا ثقافيا حمى الكثير من جذورها ومكن من حداثتها بفضل القدرات الإبداعية لعدد من الشعراء الذين أسهموا في شيوع ظاهرتها وإبراز مكانتها على نحو ما نجده عند كبار شعراء النبط كراشد الخلاوي والماجدي بن ظاهر وأحمد بن محمد السديري ومبارك ابن حمد العقيلي ومحمد بن لعبون وعبد المحسن بن عثمان الهزاني وعلي بن محمد بن محين الشامسي... وغيرهم كثير عبر القرون والسنين مما يقرُّ بخاصية الاستمرارية في الإبداع العربي وتواصل سبله ورؤاه بين مختلف الشعراء في سائر الأنماط الشعرية[12].

إذا كان دارسو القصيدة النبطية قد لاحظوا استجابتها للقصيدة العربية في مكونها اللغوي الذي لم يرتبط بالفصيح فحسب «ولكن في

(12) من ذلك شيوع ظاهرة "المشاكاة" أي المعارضة بين الشعراء.

مكوناتها المتعددة الأخرى التي تستعير من الأخيلة العربية البدوية جمالياتها، وتمتح من القصيدة الجاهلية فحولتها الشعرية في الإيقاع والصور والمعمار، وتتشبث بدينامية الحل والترحال في الحياة البدوية، وتنزع إلى حب الفروسية والغزل... وما سوى ذلك من الجوانب التي تدعم خطاب العروبة في شتى مظاهره الإنسانية والفنية»[13].

وبنفس الرؤية أسهمت القصيدة النبطية الحديثة في الحركة الإبداعية التي تميزت بها النهضة الشعرية العربية المعاصرة في الخليج والجزيرة العربية، فكانت الحداثة امتدادا لما رامه التاريخ، كما كانت نابضة بالعروبة في فضائلها وفي إحساسها الوجداني والقومي.

ومن ثم كانت «القصيدة النبطية الحديثة سعي فني إلى تدعيم العربية في تلاحم ووئام، وفي تواصل لغوي إبداعي يحقق سبل المعرفة والثقافة، ويمهد الطرق للوعي والإحساس بمتطلبات الذات والجماعة في حرصهما على التعبير العربي بتراكيب عربية في ثوبها الفصيح، منشئة – رغم غياب الإعراب – غنائية جديرة بالمقومات الفنية، وفق ما عرفه السلوك البدوي الذي هذبته الحاضرة بالكثير من المستجدات في ضوء الحفاظ على الأسس الحضارية التي حققت الحب والجمال والمثل والقيم»[14].

وبذلك تصبح القصيدة النبطية خلال رحلاتها في ذاكرة العروبة «نتاج لغة وواقع وخيال يلبي حاجة ثقافية اجتماعية للجماهير في عالمنا العربي، إلى جانب قدرته على التعبير عن مشاعر النفس، وتجسيده للمعاني والعواطف الإنسانية في صورة مؤثرة، من خلال التآلف بين

(13) خطاب العروبة في الشعر العربي، ج 2، ص : 749.
(14) خطاب العروبة في الشعر العربي، ج 2، ص : 751.

عدة أصوات وطبقات لحنية تنصهر في بوتقة موسيقية متناغمة مع لغته[15] وألفاظه وأساليبه الحياتية اليومية. وتسهم العربية الفصحى في شرح مفردات الشعر النبطي، ذلك المستودع اللغوي الخبير الذي يضم كنوزا من مفردات الفصحى، وبالتدقيق اللغوي يمكن بيان فصاحة اللفظ واللسان إذا احتكمنا إلى أسلوب المطابقة مع المعاجم اللغوية»[16].

لهذا كان الشعر النبطي في مستوى إبداع الشعر الفصيح لغة وبيانا وإيقاعا وقافية، رغم تميزه بسعة الأوزان وثنائية القوافي وابتكار الأخيلة وتعدد الصور وبلاغة الأساليب وشعرية الكلمات... وبالرجوع إلى تراثه نلمس معطياته الإبداعية التي تعتبر ردّا مفحما على الذين يرون أن «حظه من البلاغة زهيد ومرتبته في سلم الإبداع هامشية»[17].

وبمثل هذه الرؤية النقدية يصبح «الشعر النبطي ـ باعتباره مستوى تعبيريا خاصا ـ غالبا ما ينظر إليه بمرجعية الفصيح، مع أن مفهوم الفصاحة "حالة تجاوزية" تقوم على اعتبارات لا تمت للسان بصلة مباشرة "وإنما هي اعتبارات سلطوية مشوبة بموقف طبقي محدد في تاريخ اللسان" يسمح لصورة لغة أن تنبني فقط – من وجهة نظر أخرى مقبولة – على أنها بمثابة معيار»[18].

---

(15) مع لهجته بتعبير أدق.

(16) موسوعة زايد، الإمارات والتراث، حمدي تمام، ط 1، ديسمبر، 1992، ص : 146/2.

(17) مساحة الحضور الشعبي في الثقافة العربية المعاصرة، د. خليل أحمد خليل، المجلة العربية للثقافة، تونس، ع : 36، مارس 1999، ص : 45.

(17) جدلية الحضور والغياب في شعر عبد الله الفيصل، د. لويزة عبد السلام بولبرس، ضمن كتاب الشاعر عبد الله الفيصل مشاعر الحرمان وغربة الروح، بإشراف سعاد محمد الصباح ، الكويت، 2001، ص : 202/1.

ولاشك أن «لغة الشعر النبطي هي اللهجة البدوية عامة النجدية خاصة، هذه اللهجة لم تبتعد عن أصلها الفصيح بمقدار ابتعاد اللهجات الأخرى الحضارية رغم أنها مثلها تحللت من قواعد الإعراب وحركاته وطرق التعريف والاشتقاق وقوالبها»[19].

وإذا كان الشعر النبطي يعد من أبرز الأدبيات السائدة في الخليج والجزيرة العربية فلأنه ابن بيئتها البدوية، وابن ثقافتها الشعرية القديمة التي حافظت على سيرورة إبداعه كل طبقات الشعب العامة منها والخاصة، إذ يعتبر إبداعه نهجا ثقافيا وتربويا لما فيه من شعور عارم بالانتماء إلى البداوة الحضارية.. وما فيه من إحساس قوي بالتشبث بمقومات العروبة وتجلياتها، وما فيه من حرص على استجلاء مظاهر الإبداع في شتى أنماطه. ومن أبرز ما حققته القصيدة النبطية — ضمن فعالياتها في البيئة البدوية والحضرية — هو صونها لظاهرتين :

أولهما، الإنشاد الشعري في المجالس العامة والخاصة.

والثاني، حضور المتلقي ومشاركته النقدية.

وقد أثمرت هاتان الظاهرتان أبعادا اجتماعية وثقافية أفرزت حركة إبداعية ذات غناء عبَّرت عن مدى الوعي بأهمية الشعر النبطي، ليس باعتباره ترفا اجتماعيا، بل باعتباره سلوكا فاعلا في التطور الحضاري والارتقاء الفني مما يجسِّد بعمق مدى مسؤولية الشاعر النبطي في ارتباطه بالحس الجماعي من خلال تواصله مع أصوله الثقافية وجذوره الاجتماعية السائدة في الخليج والجزيرة العربية.

---

(19) الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية، د.غسان حسن أحمد الحسن، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط، 1، 1990، 1/96.

وبذلك كان الشعر النبطي ثروة «تعمِّق الصلة بين هذه الأجيال وتزيد في ثقافتهم وتعزيز صلتهم بموروثـهـم، لأنه جزء من تاريخ هذه الأمة وبعض من إحساسها، فإن نحن أغفلنا هذا الجانب فإننا نصبح أمة بلا تاريخ، وهذا ما يريده الأدعياء والموتورون»[20].

(20) نقلا من كتاب الشاعر عبد الله الفيصل بين مشاعر الحرمان وغربة الروح، بإشراف سعاد محمد الصباح، الكويت، 2001، ص : 879/2.

ثانيا - الفروسية الشعرية :
المصطلح والرؤية النقدية

لتحديد معالم الفروسية الشعرية نشير إلى ما عرفه الشعر العربي من حركة كبيرة شاع أمرها لدى النقاد والفلاسفة والشعراء، فالنقاد قد اهتموا بتفسير النص وتحليله وتقويمه[21]، والفلاسفة قد اعتنوا بتكوين المفاهيم والتصورات النظرية قصد استخلاص القوانين الكلية للشعر مطلقا[22]، أما الشعراء فقد راموا استجلاء مقوماتهم الشعرية وتأملاتهم النقدية في قصائدهم سعيا إلى كون شعري متميز.

ولا شك أن رغبة الشعراء في بناء معالم هذا الكون الشعري المتميز بصوره وتخييلاته، وبأسلوبه وتنويعاته، وبدلالاته وانزياحاته، وبآلياته ومكوناته... موقف نقدي يكشف عن جوانب هامة تتعلق بإبراز شخصية الشاعر المبدعة في أشعاره. ويستمد هذا الموقف مشروعيته في قديم الشعر العربي، فكان الشاعر في قصيدته المادحة[23] حريصا على إبراز شخصيته الشاعرة وتجربته الفنية لإنجاز موازاة بين قيم القصيدة المادحة وبين مقومات المدحة الشعرية، وذلك من أجل فرض التفوق على الممدوح وتجاوز مكانته. وقد جسد مثل هذا النهج سلوكا فنيا في القصيدة الشعرية فكان مقطعا لازما فرضه شعراء أمثال زهير وكعب والأخطل وجرير وأبي نواس وأبي تمام وأبي الطيب ومهيار وغيرهم على ممدوحيهم. ولقيمة هذا المقطع الفنية عُدَّ من

---

(21) جل مؤلفات النقد العربية تنهج هذه السبل.

(22) جل مؤلفات الفلاسفة تهتم بالشعر باعتباره مقولة فلسفية. راجع : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، د. ألفت كمال الروبي، دار التنوير والطباعة والنشر، بيروت، ط. 1، 1983، ص : 7.

(23) تعتبر القصيدة المادحة النص الجامع لأجناس القول الشعري، إذ أن "المدح أصل في الشعر العربي، والحكمة قد تتخلله وقد يختم بها حديثه، والفخر والرثاء والهجاء كل أولئك فرع منه أو تبع له أو منسوب إليه". القصيدة المادحة ومقالات أخرى ، د. عبد الله الطيب، ص : 8.

أسباب ازدهار القصيدة العربية، وأن غيابه عنها عامل سقوطها أو ضعفها، لأن القصيدة العربية تقترن بحضور هذا السلوك الشعري الذي يهدف إلى التوازن بين الذات/الشاعر وبين الآخر/الممدوح في موقف فني يجعل المدح ديدن الفن والدربة ودأب المثال والقدوة.

أ - المصطلح والمفاهيم النقدية :

إذا كانت مقاربة هذه الدراسة تبرز توجها نقديا[24]، فإن محاولة تحديد مصطلح الفروسية الشعرية إجراء منهجي يحقق موضوعية البحث، وفي سياقه النقدي نستجلي الأسس الفاعلة في العمل الشعري بالقدر الذي رامه الشعراء ووازنه النقاد واستشرفته هذه الدراسة.

أصل الفروسية من فرس يفرُس إذا صار فارسا، والفارس صاحب الفرس، وجمعه فرسان وفوارس، يقال فارس أي بيِّن الفروسة والفراسة والفروسية، كما تطلق على العلم بالأمر والتثبت فيه والنظر إليه وفيه، والحذق بأمر الخيل، والفارس بالأمر البصير والعارف والمتأمل، والفروسية والفراسة العلم بركوب الخيل وركضها[25].

ومن ثم، فالفروسية تعني حالة الفارس وهو يُحكم الفرس في جموحه، حيث تبرز قوة بصيرته في الإحكام بشكيمة فرسه. وفي ذلك قوام شخصية تجمع بين العلم بأمر الخيل وسلوك واع بمسؤولية الركض أو العدو أو الخبب. وفي ذلك أيضا قوة شخصية تجمع بين

(24) تتكرر بعض هذه المقاربات النقدية في مجمل دراساتنا عن الفروسية الشعرية.
(25) لسان العرب ، مادة : فرس، 6/159-160.

نظر العالم وتأمل العارف. ومرجع ذلك إلى تميز الشخصية وتفردها وبروزها مما يشهد لها بالتفوق في إظهار الشجاعة في حرب أو صيد أو نحوهما.

وبين الفرس والفارس علاقة حميمية في الثقافة العربية تجمع بين صفاتهما أخلاق الفروسية مما يشكل سلوكا بدويا وحضريا يتسم بالشجاعة والكرم والحلم والعفة وعزة النفس وتقدير النساء ورفع الظلم، والوفاء بالوعد وحماية الجار... وغيرها من الأخلاق السامية التي تربط السيادة بالفروسية، وهو ارتباط شديد «بالقيم التي تضفيها صفة الفروسية على السيد، فالفارس عربي حر له مكانته في القبيلة، بل له المكانة الأولى والمفضلة فيها»[26].

ويمكن أن تستجلي دلالة الفروسية في مكونين اثنين متلازمين:

أ – مكون البداوة باعتباره يحمل قيم الوجدان التي تجسد سلوكا اجتماعيا ونفسيا.

ب – مكون الإبداع باعتباره خطابا فنيا يجعل من الشعر المعبر عن الفضائل والقيم التي تحدِّد سلوك الفرد والجماعة.

وفي استجلاء المكونين حضور فاعل للبيئة وطبيعتها، وللمكان وجمالياته، حيث أن الصحراء – بما تمثلته من صفاء ونقاء – كانت فضاء لمشاعر الحب والشاعرية، وهما قواما الوجدان السامي المتفاعل مع الفروسية.

(26) الفروسية العربية في العصر الجاهلي، سيد حنفي، سلسلة إقرا، (211) دار المعارف، مصر، 1960، ص : 60.

ونرى في هذه الدلالات منحى نقديا جديدا يبرز فروسية الشاعر – باعتبارها قوة فاعلة في الإبداع – وهي تتخذ في القصيدة مكونا فنيا ومعادلا جماليا يرسخ قدرة الشاعر الفنية وهو يروم في تعدد مكونات القصيدة وحدة تجمع بين كل المشاعر والأحاسيس وبين الرؤى النقدية المعبرة عنها، وذلك في نسق يتعلق بالذات الشاعرة في وجدانها وإبداعها.

وجدير بنا أن نورد في هذا السياق كلمات عالمة جامعة صدَّر بها سمو الأمير متعب بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود كتاب : الخيل والفروسية، يقول فيها :

«تعني كلمة فروسية في الأصل المهارة في ركوب الخيل والخبرة بشؤونها، ولكن معناها الوافي اتسع حتى أصبح يشمل المعاني السامية والقيم النبيلة التي تتمثل في إجلال السمو الأخلاقي، كما تبسط على النفس الإنسانية معاني السماحة، والتواضع عند الغنم، والعفو عند المقدرة، والرقة التي تلازم القوة، ومراعاة الجوانب الإنسانية أثناء تلبية النداء، والثقة بالخالق والخدمة للمخلوق، بالإضافة إلى احترام الروابط الاجتماعية وحمايتها»[27].

ومثل هذه الدلالات التي بسطها سموه تعتبر في عمقها رؤية نقدية لمعالم الفروسية الشعرية كما تمثلتها القصيدة النبطية.

(27) الخيل والفروسية، دراسة بيبليوغرافية، إعداد الدكتور ناصر محمد السويدان، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الأعمال المحكمة (13)، الرياض، 1416-1995، ص : هـ

ب - الرؤية النقدية للفروسية الشعرية :

إذا كانت الفحولة الشعرية[28] تتخذ منطلقها من أحكام الناقد وشروطه، وإذا كانت البطولة[29] تتخذ منطلقها من الذات في إحساسها الفردي وأناها الأعلى، فإن الفروسية تتحدد دلالتها من خلال رؤيتها الحضارية في البيئة العربية التي تجعل من القدرات قيمة

(28) تعني الفحولة في اللغة القوة والغلبة، ومنها استمد النقاد دلالتها الاصطلاحية : جودة السبك وبراعة المعنى ووفرة الشعر، ومن ثم كانت الفحولة صفة عزيزة تعني التفرد الذي يتطلب :
(أ) غلبة صفة الشعر على كل الصفات الأخرى التي يتصف بها المرء.
(ب) غلبة صفة الشعر على إبداع الشاعر ووفرة قصائده.
راجع في الموضوع :
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1963، ص : 125.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط. 2، 1978، ص : 52-53.
- المصطلح النقدي في نقد الشعر، د. إدريس الناقوري، دارالنشر المغربية، الدار البيضاء، 1982، ص : 282.

(29) البطولة في اللغة تعني الشجاعة، يقال رجل بطل ليّن البطالة والبطولة، أي شجاع تبطل جراحه فلا يكثرت لها ولا تبطل نجادته، وقيل سمي بطلا لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبُهرجها، وقيل سمي بطلا لأن الأشداء يبطلون عنده. كما تعني البطولة الغلبة على الأقران. والبطولة في الاصطلاح تعني تميز شخصية ما وتفردها عن غيرها بالقوة والبسالة والإقدام والجرأة. راجع في الموضوع :
- لسان العرب، ابن منظور، مادة بطل، دار صادر، ص : 6/159-160.
وإذا كان القدماء من النقاد لم يستعملوا مصطلح البطولة في كتبهم النقدية باعتباره من مقومات الجودة الفنية في القصيدة العربية، فإن بعض المعاصرين من الأدباء والنقاد أبرزوه في دراساتهم النقدية حاملا منحى دلاليا ومكونا موضوعاتيا اتخذ في الشعر العربي عدة روافد ومجالات منها الحربي والنفسي والخلقي والروحي. راجع في الموضوع :
- البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، سلسلة إقرأ، دار المعارف مصر.

مائزة تُحكم الفرس/القصيدة، وتسلس الركض/النظم، وتحتضن الإقدام/المعاناة، وبذلك تتفاعل بنيات التجربة الإبداعية. وهنا يتوَّج الأنا/الشاعر فارسا خبيرا وبصيرا ومتأملا وعارفا، كما تتوَّج الفروسية في القصيدة باعتبارها سلوكا فنيا يوحد بين التجربة والإبداع في نسق نقدي[30].

وبذلك تكون الفروسية الشعرية أكثر دلالة وأقوى تعبيرا عن مقومات المقاصد والبواعث الإبداعية التي يتطلع إليها الشاعر الفارس من خلال حرصها على صدق التجربة الإبداعية. ولهذا تكون الفروسية الشعرية :

أ – أجدى وسائل الدعوة إلى الخير والفضائل.

ب – أكثر تشبثا بأصول العمل الشعري وما تتطلبه من مقومات أسلوبية وجمالية.

ج – أشد حرصا على إحياء النموذج الشعري المتمثل للقيم الفنية العربية.

د – أسرع سعيا إلى امتلاك سلوك فني وممارسة إبداعية من أجل فهم وظيفة الشعر وتمثل صناعته وتحقيق تواصلاته.

وكل هذه المعالم تُستقرأ حيثياتها من إحساس الشاعر بفروسيته الشعرية التي تتفاعل معه تفاعل تأمل وتفاعل تنظير وتفاعل تأصيل[31].

(30) راجع كتابنا : الفروسية الشعرية عند عبد الله باشراحيل، بيروت، 2004، ص : 18.

(31) راجع كتابنا : في الأدبية المغربية، فاس، 2003، ص : 105

فتفاعل التأمل يتم في ضوء ما يبدعه الشاعر في سياق تجربته الإبداعية التي ترسم معالمها الحوافز الفنية والجمالية، فيعمد إلى استنطاقها محاولا إيجاد صيغة لتراصٍّ الكلمات والدلالات مدركا مدى تمسكها بالشكل الذي يحدد وضعها الجمالي. ولن يتم تفاعل التأمل هذا إلا في إطار تواصل بين عمق التجربة ورؤية الإبداع من أجل الحرص على إعداد بنية نقدية تتلمس السبل الموضوعية بالرغم من طابعها الذاتي.

وتفاعل التنظير يتم في ضوء ما يبدعه الشاعر في سياق تجربته الإبداعية التي تسلك سبل المهارة في القول بكل ما تفرضه العملية الإبداعية - باعتبارها صناعة منطقية تخييلية - من أسس تراعي جدلية الإبداع والنقد في سياق وعي المبدع بإبداعه المتضمن لدعائم نقدية تبلور رؤاه وتحقق تمايزه وتكسبه جماليته.

أما تفاعل التأصيل فهو يتم في ضوء ما يبدعه الشاعر في سياق تجربته الإبداعية التي تهدف إلى إعادة بناء كون الشعر بالحرص على مكوناته التي تصنع النص ضمن مقولات متعارف عليها ثقافيا، أي من خلال اشتغال الذاكرة بمخزونها.. وكذا ضمن الحرص على التخييل الذاتي الذي يعيد خلق العالم. ومن ثم فما يرصده الشاعر في نصوصه، بدءًا من الذاكرة إلى الإبداع يحتم عليه أن يتلمس الدعائم لتستوي نصوصه وهي تتحرك في مدارات مختلفة.

وإذا كانت الفروسية الشعرية تتلمس في نظرنا سبلاً نقدية تجسد عدولا خارجا عما تدوول في كتب النقد.. فإننا نرومها من خلال حرص الشاعر في سياق تفاعله مع إبداعه بشتى تلك المظاهر الآنفة

الذكر مما يمكِّن الإبداع من مقومات خصبة تحمِّل الدلالات كينونتها الإبداعية وما يسودها من مواقف نقدية من العملية الإبداعية، وفيها من إنجاز الذاتية ما يجعلها تطمح إلى آفاق الموضوعية. وحينئذ – إذا ما تقدمت الدراسات في هذا الموضوع – تصبح خطابا نقديا له فعاليته وله منظوره.

ولا تخفى على المستشرف لآفاق الموضوع إشكاليات التحليل والتنظير لموضوع لا يخلو من مغامرة في التصور والإنجاز، فجدة الرؤية وصعوبة إدراك مقاصد النص تتطلب تعدد سبل الفهم والتأويل وإغناء النص الشعري بقراءات متعددة.

ومع ذلك فإن دراسة هذا الموضوع تشكل مقاربة فيها من الإقدام ما يجعلنا نأمل السداد، ولعل في توجيه الباحثين إلى دراستها ما يدعم الحوار من أجل فهم أسرار الإبداع.

ثالثا - النسب الإبداعي

كان الشعر في بيئة "نَجْد" مظهراً لفروسية عربية أصيلة تجمع بين فارس القصيدة وإحساسه الجمالي والوجداني والوطني والإنساني وجمهور قبيلته، وهو مظهر يتخذ من الذات والآخر منطلقا توحديا لرعاية فن القصيد، باعتباره اللون الإبداعي المعبر عن سلوك تربوي به تكتمل الشخصية العربية في أصالتها وعروبتها وفضائلها.

وفي هذه البيئة كانت أسرة آل سعود أسرة شاعرة، تناسل فيها الإبداع الذي خلف عددا من الشعراء الكبار، إذ كانت فيهم الفروسية سلالة. وكأني أعتقد – وفق ما قرره علماء النفس – بأن الشعر بطاقتِهِ الإبداعية يتوارثه الآباء والأولاد عن أجدادهم. «لقد حفظ لنا تاريخ الشعر العربي مجموعات كثيرة من الأسر الشاعرة، كأسرة جرير التي تعاقب عليها أبناؤه نوح وعكرمة وبلال وحفيده عقيل وابن حفيده عمارة بن عقيل، وأسرة بني أمية وآل اليزيدي وآل البرمكي وآل النوبختي وآل طاهر بن الحسن وغيرهم»[32].

وفي أسرة آل سعود المكرمة نجد الملك عبد العزيز شاعرا، وابنه الملك فيصل شاعرا، وحفيديه الأميرين عبد الله وخالدا شاعرين، وهناك شعراء أمراء آخرون نذكر من بينهم : سعود بن عبد الله، وخالد بن سعود الكبير، وبدر بن عبد المحسن، ونواف بن فيصل بن فهد، وعبد الرحمن بن مساعد، وخالد بن يزيد، وسعود بن عبد الله، ومحمد بن أحمد السديري، وسعود بن

(32) راجع : تاريخ التراث العربي، فؤاد سيزكين. وانظر : الحس الإنساني والجمالي في شعر الأمير عبد الله الفيصل، د. محمد جبر الربداوي، ضمن كتاب : الشاعر عبد الله الفيصل، م.س. ص : 351.

بدر، وعبد العزيز بن سعود السامر... وغيرهم كثير[33] ممن أسهموا بشاعريتهم المتدفقة في إغناء الحركة الإبداعية في القصيد العربي الأصيل.

ومثل هذا الارتباط السلالي بالشاعرية المتأصلة والمتوارثة يُغدق على الشعرية النجدية في عمقها وتواصلها عبر الأجيال الكثير من المواهب التي تقف شامخة في الفصيح والنبطي، فكانت حماية الشعر وصون جمالياته ديدنهم الذي أكسب لأنماط الشعر العربي تجددا. وقد تداول النقاد فضل سموالأمير عبد الله الفيصل في حماية الشعر النبطي وتقريبه من ذوق المتلقين حيث جدد صورته الشعرية بما أضفاه عليها من رونق عصري جديد وانفعال عميق حقق لها رؤية جديدة[34].

وفي مثل وجود هذا الشموخ الشعري في أسرة آل سعود المكرمة إحساس بمرجعية مرتبطة بالأصالة البدوية التي لا تستغني عن الفروسية في السلوك والفروسية في الشعر.. مما يجعلهما نمطين متلازمين يشد من عضدهما إحساس قوي بالحبِّ والعفة.

ولعل الأمير الشاعر خالدا الفيصل واسطة عقد هذه الأسرة الشعرية حيث تُعَدُّ أشعاره النبطية لُحمة شعرية فيها أمجاد الوالد والإخوة، وفيها برور الأبناء والأحفاد.. وكلهم يستلهمون من شعرية "نجد" وفعالياتها الإبداعية ما يحقق فروسية الشعر، بكل ما تحمله من قيم التأصيل ومقومات الاستمرار وفضائل ما تضمنه إبداعهم الثرّ من عطاءات إنسانية في الدعوة إلى قيم الحق والخير والحب والجمال.

---

(33) راجع قائمة الشعراء الأمراء والشيوخ، ضمن موقع ABYAT.COM.

(34) راجع : عبد الله الفيصل، حياته وشعره، منيرة العجلاني، ص : 37.

لقد كان إسهام الأمير خالد الفيصل فارس الأشعار في تحقيق فروسية الشعر في مستوياتها المتعددة سبيلا إلى إبراز فضائل الفارس والفروسية المتمثلة في قدراته الآتية :

أ- إبداعه في الشعر النبطي بما وفّر له من إمكانات القصيد العربي في وقت تهلهلت صورته وركت تعابيره.

ب- إخلاصه لمنهج الشعر العربي في الإنشاد والأداء الفني محققا سبل فصاحته، في وقت سادته العجمة والرطانة.

ج- تفاعله مع المتلقي ليشركه في إبداعه ولينمي ذوقه وسماعه في زمن ألحق بالمتلقي بعض الانطواء والاستلاب.

د- تجديده لفروسية البيئة البدوية في المجتمع الحضري، وتشبثه بقيم البطولة والشجاعة وصون الحمى.

هـ- تمثله لمقومات الوجدان العربي برومه الحب والجمال والصحراء باعتبارها سلوكا يجسد سواء شخصية الإنسان العربي.

و- تخليقه بنيات السلوك العربي بتشبثه بخصال القدوة والشرف والعفة وما يندرج فيها من سجايا وفضائل.

وإذا كانت فضائل خالد الفيصل فارس الأشعار التي تجمعه بالعديد ممن يماثلونه من الشعراء سلوكا قويما، فإن ما يبرِّزه عنهم هو تحليه بهذه الفروسية الشعرية بقيمها الجمالية ومقاصدها الإنسانية.

وعندما يخاطب الشاعر أخاه الأمير عبد الله الفيصل:

يا فارس الأشعار مني تحيّه
مع ريشتي حاولت أصوّر معانيك
مزجتها بألوان روحي هديّه
يا ليتني آخذ باقي العمر واهديك
يا ما خذينا من حنانك عطيّه
وش عندنا في مثل ذا اليوم نعطيك(35)

يصبح التفاعل الشعري بينهما سمة لخطاب التلقي الذي يحقق فروسية الشعر، وهي تحقق خصوبة الأخذ والعطاء وتمازج أنماط التعبير.

ومن خلال الإحساس بهذه الفروسية يتلمس خالد الفيصل شخصية الفارس من خلال التحلي بمقومات فضيلتي الإبداع والحب، وما تكابده من أرق وعذاب :

ساري الهاجس حضرني وشلت لحونه
كل ما غنّيت صوتٍ يردّ الثاني
كل شاعر تستضيف الخيال عيونه
ما ينام الليل من هاجسه سهرانِ
كل نجمٍ ساري يستهيض شجونه
واعذاب الشّاعر المغرم الولهانِ(36)

(35) أشعار.. ص : 121.
(36) أشعار.. ص : 255.

وفي مثل هذا التلازم الذي يَشيع في قدسيته شعور عارم بأنسنة القصيدة وعروبة منحاها وعمق مراميها، ما يجعل النسب الإبداعي لدى الأمير الشاعر مصدرا لفروسية شعرية تتعدد مجالاتها في القول والسلوك، كما يتسع فضاؤها لجملة من الوظائف الشعرية، ومنها :

أ - أنسنة القصيدة :

عندما يصبح الشعر دعوة إلى مكارم الأخلاق، ليس باعتبارها قيما مادحة في قصائد الرثاء والمدح فحسب، ولكنها قيم إن استمِدّت من أخلاق الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود يرحمه الله فهي بعث وإحياء في الحاضر، وهي بذلك ضمان لاستمرارية الفروسية :

قالو وراها ما رثته الصّحافه
قلت السّيوف وصهوة الخيل ترثيه
عدّ النصف يا لّلي تعرف النّصافه
ابن مساعد وش فعل في مباديه
دايم وخشم الرّمح يرعف رعافه
الرّمح يطعن به وسيفه يروّيه
وانشد ميادين الوغَى كيف شافه
ضدّه من الفرسان يومه يدنّيه
الفارس الّلي ما يعرف المخافه
إلاّ مخافة والي العرش تثنيه
فيه الشّهامه والورع والنّظافه
نظيف عرضٍ ما يدنّس مواطيه

وفيه الكرم والجود راعي ضيافه
ذولا يغذّيهم وهذا يعشّيه
علَى العدل ميزان والظّلم آفه
لَى جاه مظلومٍ له الحق يعطيه
ما نال ضدّه ثوب الكسافه
والاّ رفيقه بالمعزّه يباريه(37)

كما تجسد القصيدة علاقة تفاعل حميمية بين الشعر والشاعر كما يتجلى في قراءة القصيدة "ياصديقي" وكأن الأمير الشاعر يوحد بين الشعر والصديق في حفظ المودة وتمثل السجايا :

يا صديقي ولاني يا صديقي مسمّيك
من غلاك أحفظ اسمك واتمثّل سجاياك
ما أنت في حاجةٍ لي أذكر اسمك واطرّيك
أو أنا لي لزومٍ فيه تدويرة رضاك
لكن الشاهد الله عطر الأشعار طاريك
والقوافي طَربها عند مثلك وشرواك
من عطاياك تسمح لي ولو مرّه أعطيك
من صدوق المودّه نفحةٍ من عطاياك(38)

وعندما يعدد خالد الفيصل فضائل الشعر لا يهيم في غياهب المطلق، بل يستحضر دلالات عميقة لوظائف سامية تربط الماضي

(37) أشعار.. ص : 25-26.
(38) أشعار.. ص : 230.

بالحاضر والإنسان بالكون والشعر بالذات، وهي روابط يتملكها الشعر بما له من مواقف وجدانية واجتماعية خالدة وماجدة :

والشّعر سيد الفنون الّلي تسيّد
في مسا ذا الليل يا محمّد(*) نريده
نقطف النجمات شعر ونتقلّد
من قلايدها مصابيح فريده
والشّعر طبّ القلوب الّلي تجلّد
من بلاويها طبايعها عنيده
والشّعر تهويمة فوادٍ توجّد
لو وجوده في وجوده ما يفيده
والشّعر بوح العيون الّلي تسهّد
شوفها تسري به نُجوم بعيده
والشّعر للناس تاريخ يخلّد
للعرب والشّعر وقفاتٍ مجيده[39] .

ومن ثم كانت القصيدة – باعتبارها الأقرب إلى إحساس الشاعر في معانقته للكون، سواء في حلول الشاعر في القصيدة، أو القصيدة في الشاعر – تجسيداً لحالة شعورية تمكِّن المتلقي من الغوص في عالم الحلول :

(*) يشير خالد الفيصل إلى الشاعر سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم الذي شاكاه (عارضه) في بعض قصائده. انظر : أشعار.. ص : 173-177.
(39) أشعار.. ص : 188-189.

لا تـمـلّـيـن الشّـعـر وانـا الـقـصـيـده
صـاغـهـا مـن لـوعـة أيّـامـي زمـانـي

الـمـعـاني مـن غـرابيـلـي[40] جديـده
مـن عـذابـي لـحّـنـوا حـلـو الأغـانـي

كـلّـمـا ونّـيت ردّوها نشـيـده
واسـمـع جُـروحـي تصـيـح بصـوت ثـانِ[41]

ولـم يـكـن هـذا الـحـلـول إلا رغـبـة في تـوحـد عـالـمي الإبداع والإحساس : الإبداع بمكوناته وقدراته، والإحساس بنزعاته وتجلياته، مما يجعل أنسنة القصيدة وإنسانيتها سبيلا إلى تفاعل يبرز رؤية فنية تضحى معها القصيدة فاعلة في الشعرية العربية من أجل الدفاع عن الشرف والكرامة :

فـي غـنـاتـي لـلشّـرف صـوتٍ وصـيـت
ومـن عـنـاتـي يـرفـع الـفـارس حـداة[42]
ولـلـكـرامـه عـرضـةٍ فـي كـل بـيـتُ
والسّـجـايـا بـالشّـهـامـة نـايـفـات[43]

---

(40) غرابيل : المشكلات ، المصائب.
(41) أشعار ..ص : 291.
(42) حداة : الحداء وهو الغناء للخيل والإبل، وكان العرب يغنّون الحداء للإبل أثناء سيرها. ثم أصبح الحداء يُطلق على أبيات عادة ما يقولها الفارس أثناء الإغارة أو الاستعراض على الخيل.
(43) أشعار.. ص : 350. نايفات : مرتفعات، عاليات. من ناف ينوف نوفا.

ب - مذهبية القصيدة :

وفي وعي الأمير الشاعر بالأقنوم الشعري للقصيدة النبطية الذي يرعى فيه أصولها العربية ويصون مقوماتها الإبداعية، تَجَلٍّ لمواقفه النبيلة في صون التراث العريق ومن الاعتزاز بالإسلام والعروبة والحث على بناء المستقبل :

ألبست شعري غتره وبُشت وعُقال
وخلّيت تغريب المذاهب لغيري
في ساحتي للفكر مليون مدهال
وبحري بمكنوز المعَرُفه غزير
ما في عروقي غير الإسلام مثقال
أموت وأحيا به قليل وكثير
أعتز بالإسلام والعمّ والخال
وعلَى العروبه والأصاله أغيرِ
آباءنا وأجدادنا ذّبوا الجال
والّلي يبي درب المراجل يسيرِ
موروثنا مجدٍ وفخرٍ ومنهال
نبني عليه ونستحثّ المسيرِ
ماني بمفتونٍ بصرعات الأجيال
مع كل صيّاحٍ نهبّ ونطيرِ
لي رايٍ امشي به ولي عزم رجّال
ولي لابة[44] إذا بغيت استشيرِ[45]

(44) لابة : جماعة، قوم.

(45) أشعار.. ص : 420-421.

ولم يكن التشبث بتلك الأصول والمقومات إلا عاملا أساسيا في اتخاذ الحب قدوة ونموذجا باعتباره المكون لشعرية وجدانية أخلاقية ولسلوك إنساني نبيل، فالأمير الشاعر حين يصرح "بأنا المشعوف" أي أنا المغرم يقدِم على فروسية المعاناة والشوق وتباريح الألم والهيام :

سقَى غيث الحيا قلب المولّع
سقَى قلبٍ بدنيا الحبّ حارا
أنا المشعوف في وصلي وصدّى
أحب الحب حلوٍ أو مرارا
متَى ترتاح يا قلب المشقّى
تهنّى بالليال وبالنهارا
واشوف اللي نحبّه في وطنّا
حبيبٍ لي علَى شوفه حيارا
عليه القلب كنّه فوق صالي[46]
تطاير مع لهب جمره شرارا
لحقته بالفكر وأشواق قلبي
كما اللحّاق من فرخ الحرارا[47]

ولم يكن شرف التصريح بالحب إلا منقبة في سمو تجربة إنسانية، فيها من المثالية ما يطبع شخصية خالد الفيصل سواء في عمق وجدانها أو في أصالة تفكيرها :

(46) صالي : فوح النار.
(47) أشعار.. ص : 117.

والــحب مــا لــه يــاهــل الــحب تــفــســيــر
قــلــبــين والـلــه بــالــمــحــبّــه امــرْهــا
لَــى جــيــت أصــوّر حــالــة الــحب تصــويــر
واردّ عــن حــالــي لــخــلّــي خــبــرْهــا
لــقــيــت وجــدي فــوق كــل الــتــعــابــيــر
كــل الشّــعــر قــطــره وشــوقــي بــحــرْهــا[48]

إن الغزل في أشعار خالد الفيصل يشكل منحى بدويا، ويجسد رؤى شاعرية، كما يتسم بخصوصياته الاجتماعية والثقافية[49]، لأن حرص الشاعر الأمير على هذه المذهبية واستجلاء إبداعياتها يشكل مواقفه البناءة في صون القصيدة العربية، ونبذ الدعوات (كالاغتراب وصراع الأجيال) الهادمة لأصالة عروبتها. وتعدُّ قصيدته "زمان الخلف" موقفا نقديا نحو التوجه الصحيح لشعرية عربية مبدؤها "زمن الخلف في سرِّ القصيدة" لأنها "سلسلة مجد وعصور مجيدة" وفي "بنت العرب نسل الأصايل". والأمير الشاعر يعي ما اعترض سبيل

(48) أشعار.. ص : 106.

(49) شعر الغزل عامة في بيئة الخليج يهتم "بوصف عواطف الرجل عند المرأة في حبه لها، وولهه بها، وما يلاقيه بسبب هذا الحب من ألم وعذاب، يرجعان إلى ذلك الفراق الذي يحرص شعراء الغزل ـ على اختلاف بيئاتهم وأزمنتهم ـ على أن يسجلوه في أشعارهم. فقد غلب وصف الفراق، ورحيل المحبوبة على معاني هذا الغزل، بحيث لا نكاد نجد قصيدة واحدة تعنى بذكر اللقاء ووصفه. وإذا عثرنا على شيء من ذلك، فإن هذا اللقاء لا يكاد يتم، حتى يكون إلى فراق مضن وحزين. كما أنه يكثر في هذا الشعر ذكر الرقباء والوشاة الذين يتتبعون المحبين، ويتسببون في إشاعة أسرارهم على ألسنة الناس. وشعراء هذا الغزل يحرصون على التخويف من هؤلاء الوشاة والرقباء، وكأنهم بذلك ينسبون إليهم أنهم يتسببون فيما يفرض على هؤلاء المحبين من فرقة وقطيعة ورحيل".
انظر : الحركة الشعرية في الخليج العربي ص : 158.

القصيدة من "تبرج في حوانيت الحداثة" و"بعض القول مشبوه محرف". ويعتبر هذا الموقف النقدي خطابا عربيا بنّاء أمام ما راج في الساحة العربية من محاولات طمس هوية القصيدة العربية في الفصيح والنبطي، فدافع الأمير الشاعر عنها بعد أن "شكت عندي وباحت" و"صارت قضية" وتعددت فيها "قريبات النوايا والبعيدة" ولما تعرضت له "من الحاسد مكيدة"، ولذلك حق للقصيدة أن تقول :

أنا بنت العرب نسل الأصايل
وكم ضحّت علَى شاني حمايل
ولا اقبل في عقيدتنا بدايل
حشيمتنا على الدّنيا فريده

أنا قدري رفيع بالجزيره
ولا يزيدني كبر الشعيره
أساطير الخواجات استعيره
حضارتنا شواهدها عديده

ألا يا شاعري نبّه رجالي
يذودون الحمَى يحمون جالي
ولا يرضون تشويهة جمالي
مى التقليد بذّتني عبيده

.. يجدّد لي جمالي شعرملهم
رفيع الذّوق بالإبداع مغرم
يصوّرني خياله واتكلم
والَى غرّدت عاودني واعيده(50)

(50) أشعار.. ص : 184-186.

رابعا - المكوِّن الشعري

إذا كانت الرؤية في إبداع خالد الفيصل تجسِّد قوام العمل الإبداعي، فلأنها تحقق سبل التجربة الفنية وتجلياتها في الفكر والوجدان. ومتى استمدَّت الرؤية بنياتها من ذاته وأقامت علاقاته مع الآخر والكون فإنها تصبح فاعلة لدى المبدع الأمير، فعنها يتفتق فكره وإحساسه المرتبطين بماضيه الحضاري وبحاضره المستشرف للسمو المأمول، وفيه أيضا تمتزج رؤيته بمواقفه المسؤولة التي تفَعل تجربته الفنية بالكثير من الخصوبة الإبداعية.

أ- "نجد" والرؤية الإبداعية

إذا كان الشاعر خالد الفيصل واعيا بما تتطلبه الرؤية الإبداعية من أسس، وبما حققه في إنجازه الإبداعي من مقومات، فإن بين الرؤية والإنجاز تنمو شخصية فارس الأشعار، كما تنمو مكونات الفروسية الشعرية. ولما كان التلازم بينهما من مقومات الشعرية العربية فلكونه المكوِّن الشعري الذي يتخذ من "نجد" سبيلا إلى الإرهاص الإبداعي والتمثل الشعري.. وفيه من الدلالات والسجايا ما يؤسس شعرية أصيلة أكبر من شأنها الشعراء والنقاد القدماء واعتز بها المبدعون الدارسون المعاصرون، لأن مكانة "نجد" في الشعر العربي «أمر لا يحتاج إلى دليل، فقد تغنى شعراء العربية في مختلف العصور والأحقاب بجمال "نجد" وعظمتها وازداد تعلق شعرائها بها كلما ابتعدوا عنها، فكان شعر الحنين إلى نجد، كما أن شعراء العربية الذين لم يعيشوا في نجد قد تغنوا بها فهي ملهمة الشعراء في كل عصر وفي كل قطر»[51].

(51) نجديات الأبيوردي، د. محمد بن عبد الرحمن الربيع، المكتبة السعودية، ط. 1، 1403 هـ/1983 م، ص : 15.

وبذلك، لم تكن "نجد" مجرد مكان يقع في شبه الجزيرة العربية فحسب، ولكنها مكان ذو إحساس متجدد بشعرية خلاقة ومتميزة، لأن «"نجد" تنوء في الشعر بالمعاني العاطفية التي تحملها، وهي بذلك راقصة في وجدان العربي، حتى غدت ملهمة للشعراء مع أنها في حقيقتها صحراء، وقد تأتى لها عالم شعري تملّك قوى الإحساس، حتى عاشت كلمة "نجد" في الشعر بين نفحات الصبا ورائحة الشيح والعرعار والخزامى والتراب العطر والماء البارد، والسحائب التي تهدي السلام، والبروق التي توقد الشوق، فيغني الإنسان وتحن الإبل ويهتف الحمام، وهذا العالم الشعري شكل نجدا في الشعر بما لا يكاد يوجد له نظير»[52].

يقول أبو المظفر الأبيوردي[53]

ألام على "نجد" وأبكي صبابة
رويدك يا دمعي ويا عاذلي رفقا

(52) شاعرية المكان، د.جريدي سليم المنصوري الثبيتي، جدة، 1412/1991، ص : 59.

(53) الأبيوردي أبو المظفر محمد بن أحمد القرشي (439-507هـ) من أبرز شعراء القرن الخامس ولد بكوفن بإقليم خراسان تلقى العلم والأدب ببلده أبيورد، ثم انتقل إلى بغداد حيث اتصل بالخلفاء العباسيين ووزرائهم، وتولى خزانة دار الكتب النظامية ببغداد عام 498 هـ، ثم ترك العراق إلى همدان ثم رجع إلى أصفهان واستقر بها إلى أن مات مسموما. كان الأبيوردي شاعرا شديد الفخر بنفسه وبنسبه وبشعره، وكان واسع الثقافة والاطلاع، وله مؤلفات عديدة منها ديوانه بقسميه العراقيات والنجديات، طبع أكثر من مرة، أفضل طبعاته طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق د.عمر الأسعد، صدر في جزءين بدمشق 1395. راجع :

- قاموس الأعلام، الزركلي، ص : 316/5.
- نجديات الأبيوردي، محمد بن عبد الرحمن الربيع م.س.

فلي بالحمى من لا أُطيق فراقه
به يسعدُ الواشي ولكنني أشقى
وأُكرمُ من جيرانه كلَّ طارئ
يود وَدادا أنه من دمي يُسقى
إذا لم يدعْ مني نَواه وحبه
سوى رمق يا أهل نجد فكم أبقى
ولولا الهوى ما رق للدهر جانبي
ولا رضيَتْ منكم قريشٌ بما ألقى[54]

ولا تقف جمالية نجد عند طبيعتها البدوية الخالصة في نقاء الفضاء وصفاء الصحراء فحسب، ولكنها في نظرنا «سبيل فني رامه الشعراء للتغني بمعاني الغزل والشوق والصبابة والوجد والبكاء والعتاب، على نحو ما يقرب الشعر إلى شهامة النفس العربية فيقر بعزيمتها وفتوتها وروحها، لأن النجديات في عمقها حنين إلى البادية بعنصريها الإنسان والمكان في أجلى مظاهرهما حيث علائق الفروسية والحب من جهة، وعلائق الذات والمكان من جهة أخرى، وعلائق المكان والإبداع من جهة ثالثة»[55].

ولعل الشاعر أبا المظفر محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردي أبرز الشعراء الذين تمثلوا النهج النجدي في الشعر العربي باعتباره نهجا

(54) ديوان الأبيوردي، تحقيق د. عمر الأسعد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1974، ص : 227/2.
(55) راجع دراستنا : نجد والحجاز في الذاكرة الشعرية الأندلسية، ضمن السجل العلمي لندوة : الأندلس 8 قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط 1، 1996/1417، م 4، ص.ص : 389-421.

متميزا في دلالته وأساليبه.. فكانت نجدياته من حيث دلالاتها قصائد نسيبية كتبها لصديقيه اللذين كانا «يرتاحان للنسيب الرقيق، وينظمهما وطالبي اللهو[56] سلك الطريق، ويختاران من القريض ما رعفت به خياشم نجد ويهتزان منه لما يرفع دعامتي شرف ومجد»[57]، أما من حيث أساليبها فهي تُعنى بـ «ما رقَّ لفظه ودقَّ معناه من أشعار أهل نجد...»[58]. ومن ثم أسهمت النجديات برقتها وعذوبتها في تطور الشعر العربي بفضل التشبث بالأصالة الشعرية في السلوك والإبداع.

لقد أشاعت "نجد" جماليات المكان المرتبطة بالتيار البدوي ذي الرؤية الإبداعية في استحضار سبل التواصل واستيحاء المثل، فكانت القيم الإنسانية : الوحدة والحرية والعفة والطبيعة والجمال والشوق والحنين قيما خالدة في الشعرية العربية رسخت في ذاكرتها معالم فروسية شعرية عربية صميمة توارثها الخلف عن السلف[59].

ولمكانة نجد في التاريخ والذاكرة والقلب استمد الشاعر خالد الفيصل وعيه بمقوماتها، فكان انتماؤه الشعري إليها سبيلا إلى تواصل إبداعي، فكانت قريحته متوهجة بهذا المكان الشعري الذي يصون الذاكرة والإحساس، ويسلس التعبير والأسلوب، ويذكِّر

(56) نظم الأبيوردي النجديات وهو في الأربعين وهي ليست من عهد الصبا واللهو. ويقصد بطالبي اللهو مريدي شعر الغزل الذي يقابل شعر الحميس. وهو مدلول نقدي شاع في عصره، وقد تمثله قول مهيار الديلمي :

وحمست حتى قيل صب دماءها ❊❊❊ وغزلت حتى قيل صب مدامها

(57) ديوان الأبيوردي، ص : 171/2.

(58) ن.م، ص : 171/2، هامش 1.

(59) راجع : دراستنا، نجد والحجاز... م. س. ص : 403.

الحاضر بماضي المجد الشعري. ولحضور هذا المكان كان الشاعر خالد الفيصل يحمل انتماء ه النجدي/الصحراوي وهو يزور ساقي الخالدين :

إسقني وارووني يا ساقي الخالدين
وابعث الوجد من عاطر نداك ومْساك
في قصيدي خيال وفي ضميري يقين
وفي لساني هواك وفي عيوني بهاك
شاعرٍ من صحاري نجد لحني حزين
جيت أغنّي غرامي بين ماك وسماك[60]

ولم يكن التشبث "بصبا نجد" و"نسيم أبها" إلا خطابا عربيا يتحدث "من منابر مكة وطيبة السلام" عن رسالة الشعر ومقاصد الهوى :

من منابر مكه وطيبه سلام
ومن صبا نجد ونسيم ابها غرام
والفيافي... والشعاب وكل روض
وكل ظبي عاود بروس العدام[61]
والخزامى... والنّفل... والقحويان[62]
والقماري... والحباري... والنّعام
حمّلوا شعري رسالات الهوَى
كل صوتٍ فيه للغالي هيام[63]

---

(60) أشعار.. ص 299 : المعنى : جئت أغني غرامي بك عند نهرك وتحت سمائك.
(61) لعدام : التل الرملي أو الطعس الرملي
(62) القحويان : الأقحوان وهو زهر ربيعي له رائحة عطرة.
(63) أشعار.. ص : 423.

كما كانت "نجد" خطابا وجدانيا لما في طيب لياليها من حضور للحب وحلول العواطف في مكان يشيع الأمن والأنس ويَمنح الحب الغالي السمو والسناء :

ليالي نجد ما مثلك ليالي
غلاك أوّل وزاد الحب غالي
ليالي نجد للمحبوب طيبي
أمانه نور عيني يا ليالي[64]

ولذلك كانت "نجد" في أشعار خالد الفيصل مصدر إيحاء شعري يستحضر فضاءها كمكوِّن إبداعي، نظرا لما في تجلياتها من الهيام والشوق والوفاء والحنين. وكلها تستمدُّ من الحب والطبيعة[65] باعتبارهما معادلين لعلو القيمة والمقام – تجربة يجسّد فيها حب المرأة وجماليات المكان وحدةً فنية فيها من التلازم والوئام والتأمل ما يقيم علائق التخيل والانزياح :

سريت ليل الهوَى لين انبلج نوره
أمشي علَى الجدي[66] **وتسامرني القمرا**

(64) أشعار.. ص : 128.

(65) جاء في كتاب الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس بن يزيد المبرد أن "العرب تشبه المرأة بالشمس والقمر، والغصن والكثيب، والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرة والبيضة..." تحقيق محمد أحمد الدالي، ط. 1، بيروت، 1406، ص : 950.

(66) الجدي : نجم نير من نجوم السماء يظهر من جهة الشمال، ويستدل به السُّراة ليلاً.

طعس وغدير وقمر ونجوم منثوره
وأنفاس نجدٍ بها جرح الدهر يبرا
يا نجد الأحباب لك حدر القمر صوره
طفلة هلال وبنت أربع عشر بدرا
حبيبتي نجد عيني فيك معذوره
معشوقة القلب فيها للنظر سحرا
فضّة شعاع القمر في نجد مسحوره
من شاف لمعة قمر في خدّةٍ[67] سمرا[68]

ب- مكونات الفروسية الشعرية :

لقد شكلت "نجد" البؤرة الشعرية في شاعرية خالد الفيصل لأنها جمعت كل المقومات الدلالية والفنية في سياق يتحدد في النسيب دلالةً وفي الرقة أسلوبا.. وهذا ما يجعل الفروسية الشعرية عند سموه نسقا يتكون من عناصر أربعة، هي الخيال والفكر والسجية، بالإضافة إلى نسيجها الشعري المتلاحم.

1 - **الخيال** : يُعدُّ الخيال عمدة الإبداع الفني، لأنه يُكسب القصيدة كينونتها عبر تأليف بنياتها وتشكيل صورها. وفي تمثل الشعراء الوصف - باعتباره أداة معبرة تتوسل بالتخيل والتخييل وبوسائل إجرائية من أبرزها التشبيه والمجاز والرمز - سبيل يروم حرص الذاكرة على إعادة تجسيد الواقع وفق نمط جديد فيه تتوالد الصور وتتعدد الأيقونات، وذلك بغاية إنجاز فاعلية الشعر إبداعا

(67) خدّة : الأرض المنبسطة.

(68) أشعار.. ص 242.

وتلقيا في تحقيق كون شعري. وهذا ما يجعل القدرة الشعرية لدى الشاعر تكتسب خاصية الخلق والإبداع، وتحقق لدى المتلقي خاصية التأمل والإمتاع. ولا يتم ذلك إلا بخيال يفجّر طاقات الإحساس والمشاعر بحثا عن صورة جميلة مبتكرة ومعنى جديد لم يسبق إليه. لذلك كانت الصورة الشعرية الفاعل في نماء الكون الشعري وتطوره.

ونجد في أشعار خالد الفيصل نزوعا إلى الوعي بهذا العنصر في فروسيته الشعرية، يتمثل ذلك من خلال عُدة الشاعر التي تفتح له أبواب الإبداع، إذ في معاناة الهواجس ومكابدة السهر تجربة تجسد إرهاصا لتجربة عاطفية، من أجل صياغة قصيدة يستضيف فيها الشاعر طيف الخيال :

ساري الهاجس حضرني وشلت لحونه
كل ما غنّيت صوتٍ يردّ الثاني
كل شاعر تستضيف الخيال عيونه
ما ينام الليل من هاجسه سهرانِ
كل نجمٍ ساري يستهيض شجونه
واعذاب الشّاعر المغرم الولهان[69]

وتبدو أهمية الخيال عند خالد الفيصل في إقراره إياه دعامة لتجربة وجدانية تفتح له مصاريع الكون فيرسم صورا شعرية يعانق فيها الممكن والمحال :

(69) أشعار.. ص : 255.

تدلّل علينا يا سمي الظّبي وش عاد
تدلّل لك بامر الهوَى شافعٍ عندي
ولك في خيال الشّاعر المهتوي ميعاد
ومجلس علَى غيمه وليلة قمر نجدي
.. رسمتك ضحوك الفجر يافرحة الأعياد
ولمعة شعاعٍ ينغمس في ندَ وردِ
وغنّيت بك صوتٍ لقلب الهوَى ميلاد
ونغمت غرامٍ ذاب في لحنها وجدي
أشوفك مطر هتّان لا برق لا رعاد
من الوسم يبعث بالصحاري زهر ودّي[70]

ويتمثل إحساس خالد الفيصل بفروسيته الشعرية في العلاقة الحميمة بين صورة القصيدة وطيف خيال المحبوب حيث يستشف رؤية شعرية رائعة تجسد سعة حضور الطيف أمام ضيق مجال القصيد:

لك يا عنود الصّيد حرفي ومعناي
عمري قصيدة حب قدّمتها لك
معك أشرقت شمس المحبّه بدنياي
صورة قصيدي لمحةٍ من خيالك[71]

وبذلك يكون الخيال في إبداع الشاعر سلوكا واعيا يقرُّ بقدرته على العطاء الفني الذي يسمو بسمو الدلالة وبإبداع الصورة الشعرية.

(70) أشعار.. ص : 217.
(71) أشعار.. ص : 7.

2 – **الفكر** : ولا يكتمل توظيف الخيال في أشعار خالد الفيصل إلا بصياغة شعرية تستوعب سبل النظم، لأنها تتوخى الدلالات الأدبية الموحية من العبارات الدقيقة المنسقة بما توفر لها من انسجام بين اللفظ والمعنى، وبين اللفظ والجرس، وبين المعنى والصورة... ومثل هذا الانسجام يعدّ في الشعر «صناعة وضربا من النسج وجنسا من التصوير»[72]. ولا يتأتى ذلك إلا باستعمال الفكر سواء في بناء صورة شعرية أم في بناء تعبير جمالي، وكلاهما يحقق إحكام الصنعة ورونق اللفظ، فبالفكر تتعمق مقاصد الشعرية العربية لكونه يخلد القصيدة عبر الصور لأنه صوب العقول.

يقول أبو تمام :

فلو كان يفنى الشعرُ أفناه ما قَرَت
حياضُك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوبُ العقول إذا انجلت
سحائبُ منه أُعْقِبَت بسحائب[73]

لذلك تصبح القصيدة عنده – وهي من بنات الفكر– سبيلا إلى الربط بين ملكة الشاعر وطبعه وبين عمل الفكر وتهذيبه، لأنها تمثل ظاهرة إبداعية تسمو بالشعر وبالشاعر، وتعمِّق تيار النقد العربي المتجدد.

---

(72) الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ،طبعة الحلبي، ط 2، مصر، 1385 هـ/1965م، ص : 3/131.

(73) ديوان أبي تمام : شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، 1965. ص : 1/214.

يقول أبو تمام :

خُذْها ابنةَ الفكرِ المهذّب في الدجى
والليلُ أسوَدُ رُقْعة الجِلباب
... ويزيدها مرّ الليالي جِدَّة
وتقادُمُ الأيامِ حُسنَ شباب[74]

وعندما يحرص خالد الفيصل على التوسل بالفكر، أي بتلك القيم الجمالية المنسقة بين بنيات العملية الإبداعية، فلأنه يضبط أصول الدلالة في قصيدته ويرعى طرائق توظيف القصيدة لتنجز مقاصدها لدى المتلقي :

تقول تنساني على البعد وأقول
ماهيب لي ياصافي الودّ عاده
حاشا لهيب الوجد يبرد على الطول
مثل الجمر وقّاد حدر الرماده
لو غبت عن عيني بكل القلب مشغول
يا واحدٍ قلبي له الحب قاده
لك منزلٍ بالقلب ما هوب منقول
لا والذي زينك على الناس زاده
نهار قلبي عقب فرقاك مقتول
وحشو الوساده باللیالي كداده
أرسل مع النجمات بالشوق مرسول
حتى غدت نجمات شوقي قلاده

(74) ديوان أبي تمام، ص : 1/90-91.

عـود يـعـود الـمر لـي جـيت مـعسول
والـقـلب يـلـقـي يا حـبـيـبـه مراده[75]

والقصيدة – باعتبارها منظومة فكرية على هذا النحو – توجُّه نقدي يجعل الشاعر يخلص لها كي تؤدي وظيفتها لدى المتلقي، لأنها تصبح معادلا للغناء والإنشاد. وفي ذلك تجسيد لمدى التلاحم بين القصيدة ومفعولها في هوى العاشق فارس الأشعار، وفي متعة المتلقي وإحساسه بجمالياتها. ولا ينتظم الفكر في إبداع القصيدة إلا بالسعي إلى تملك مقومات تمنح للصورة حركية تتسابق بنياتها لإرضاء مسعى فارس الأشعار، لأن سعادة الشاعر – وهو يعانق حبه بالسمع قبل النظر– استجلاء لإرهاصات المشاعر التي تراوده قبل إبداع القصيدة، وعندما يتبهج بولادتها فإنه يسعد بتتويجها بالقلادة الفنية :

عـانـقت انـا اخـبـارك قـبـل طـلـعة ضـيّـاك
وتسـابـقت فـرحـات فـكـري قصـايد
أبـديـتـهـا يـا خـوي طـربٍ لـمسـعـاك
وأرجـو تـقـبـل ورد شـعـري قـلائـد[76]

وليس التنصيص على الفكر مجرد إرهاص إبداعي فحسب، ولكنه شعور بالاعتزاز بالانتماء إلى مملكة الشعر التي تستعصي مسؤولياتها على الشاعر فيحرص على أن ينقاد له الشعر بمقوماته وتجلياته :

(75) أشعار... ص : 218.
(76) أشعار... ص : 28.

أعـــتـــز إذا اخـــتـــارنـــي عـــمّـــي
فـــي نـــخـــبـــة الـــفـــكـــر أخـــاطـــبـــهـــا
وأمـــزج مـــع هـــمـــومـــهـــا هـــمّـــي
وبـــالـصّـــوت والـــحـــرف أجـــاذبـــهـــا
وانـــقّـــط الـحـــرف واســـمّـــي
بـــعـــض الـــمـــعـــانـــي واسـبّـــبـــهـــا
مـــــن غـــــيـــــرِ مـدحٍ ولا ذمّ
عصـــيّـــة الـــفـــكـــر أرتّـــبـــهـــا
بـــالـــكـــيـــف مـــاهـــوب بـــالـــكـــمّ
هـــزيـــلـــة الروح أجـــنّـــبـــهـــا
تـــفـــرّق الشـــعـــر والـــتـــمّ
فـــي حضرة الّـــلـــي يـــعـــرّبـــهـــا
أخـص الإبـداع مـــــا اعـــــمّـــــي
مـــا لـــي بـــعـــجّـــة هـــبـــايـــبـــهـــا
واخـــتـــار مـــعـــنـــاي واهـــتـــمّ
بـــالّـــلـــي يـــســـنّـــع ركـــايـــبـــهـــا[77]

لذلك كان اختيار الشاعر لتحمل هذه المسؤولية الجسيمة- ما دام من نخبة أهل الفكر- مجالا استطاع أن يحقق فيه امتزاج المشاعر بالقول والإنشاد، ووسْم القصيدة بالمعاني والدلالات، كما استطاع أن يرتاد أفق الشعرية البعيد عن المناقب والمثالب، ليرتب أمور القصيدة رغم كونها عصية على الفكر.

(77) أشعار... ص : 405.

3 – **السجية** : وهي في أشعار خالد الفيصل دعامة فنية ثالثة تقوم على أساس أن الشعرية تستمد من الطبع نهجا فنيا بعيدا عن الصنعة والتكلف. وإقرار مثل هذا النهج هو السمة الغالبة في الشعر العربي، لأن الشاعر بفطرته السليمة هو الذي تنساب لغته على لسانه دون قلقلة أو تقعّر.

ومن أبرز مقومات السجية حضور خاصية الصدق باعتباره بنية في الخيال والفكر، وأسلوبا في السلوك والدلالة. وقد تشبث خالد الفيصل بهذه الخاصية ووعى آثارها في إبداعه من حيث كونه شاعرا بدويا في شعريته أصالة وفي شعره فروسية. والشاعر في كل ذلك يروم في العمق نهج خصال مادحة، ومن أبرزها الشجاعة والعفة والفضيلة، وهي نهج لفروسية شعرية صادقة :

يِـزيـنَ الـقـاف[78] وتـزيـنَ الـمـعـانـي
إلـــى ذوّبت قـــلـــبـي فـــي لســـانـي
حَــلاة الشـعـر فــي صــدقَ الــمشـاعـر
أعــبّــر فــيــه عــن مـا فــي جـنــاني[79]

ويدعو خالد الفيصل إلى احترام مبدأ الصدق في التجربة الشعرية لأنه يدرك مدى تأثيره في توجه المشاعر التي تسجل المواقف المعبرة الداعية إلى الإيمان بالعقيدة وتقدير الأكابر والاعتزاز بالمثل، وهي قيم تجد في شعرية خالد الفيصل سلوكا حضاريا متميزا :

(78) يريد القافية

(79) أشعار... ص : 267.

لـو كـل شـاعـر كـتب مـن صـادق شـعـوره
شـفت الصـخـر والـمسـايل تكتـب وتـقـرا[80]

ويترسخ هذا الموقف الفني في شعرية خالد الفيصل فيجسد "الصخر والمسايل"، كائنين حيين واعيين يكتبان ويقرءان.. وليس في هذه الصورة غلو أو مغالاة لأن التأثير يتأصَّل في النفوس، وهو أعمق من كتابة الصخر ومواقف القضايا الثابتة مما لا تغيره أسباب أو دواع.

4 – **النسيج الشعري المتلاحم** : إذا كانت نجد/القصيدة بفعالياتها في الشعرية العربية – وللنبطي فيها حضور فاعل بمكتسباته الشعرية القديمة واستمراريتها الفاعلة في الحاضر – قد كونت مقوماتها الشعرية : الخيال والفكر والسجية نسيجا متلاحما، فإن الشاعر قد وعى بذاكرته النقدية مدى التداخل بين عناصرها وتماسها، إذ أن إحساسه بالفروسية الشعرية أبرز لديه طاقة استوعبت العلاقات بين الفكر والخيال، فكانت تلازما أكسب القصيدة وحدة الرؤية والكون من خلال موجتي البحر والحرف :

لاعـنـي وقـتـي ولـوّعت الـقصـيـد
ومـن ورا حـد الـبـحـر حـرفـي زمـى[81]
والـتـجـيت بـحـرف مـعـناي الـجـديد
والـخـيـال الـخصب فـي فـكـري نـمـا[82]

---

(80) أشعار... ص : 243.
(81) زمَى : كَبُر، ارتفع.
(82) أشعار... ص : 290.

ومثل هذه العلاقة تتحدى إمكانات القول والنظر والحس والسمع لتحُدَّ من منطقية الفكر وتمده بسعة الخيال، وحين يسري الفكر في الخيال تجول في ربوع النفس والكون شخصية الشاعر/الشاعر بالرغم من حضور شخصية الشاعر/الإنسان :

أستطيع أمنع لساني لا يقول
وأستطيع أمنع عيوني لا تَرَى
واستطيع أمنع يديني لا تنول
وامنع أذني عن سواليف الورَى
لكن المشكل أنا وش لون[83] أحول
دون فكري لو خيالي به سرَى
شارد افكاري علَى رغمي تجول
كلّما عنّ الهوَى والاّ طرَى[84]

إن جنوح الخيال عندما يستبد به الفكر يصبح فضاء لدى الشاعر ويمكنه من الإحساس بفعالية أشعاره في شتى مظاهرها لأنه يستبطن الذاكرة في عالمها الغائر في اللاشعور، ويحقق متعته بلذة النص ونشوته الإبداعية، وهذا مما يتيح الخوض في غمار فروسية الشعر بصدق الإحساس وجمالية المشاعر :

قصيدتي رعشة خفوق ووجدان
صوَّت بها السّاري وردّد مثلها

---

(83) وش لون : كيف.

(84) طرَى : جال في فكره، تمثله في خاطره. والمعنى أن النجوم ذلّلت بحيث يمتطيها الخيال في سرحاته/أشعار.. ص : 306.

قصـــيـــدتـــي غـــنّـــيـتـــهـا روح الإنسـان
الـلّـي مـعـانـيـهـا بـروحـه صـقـلـهـا[85]

ولم تكن مكونات القصيدة عند الشاعر إلا غوصا في الذاكرة والواقع، وفي الزمان والمكان... مما يجعل تجربته الشعرية تتلمس التفاعل بين عالمين : عالم الذات وعالم الكون، وهما يتوحدان بقدر ما يتميزان ليصبح الشعر هو الأنا والآخر، وهو الأنا الأعلى الخاضع لكون يعيد بناءه الشاعر من جديد، وهو الآخر الذي يسعد بوجود الشاعر المعبر عن جوهرالكون..

(85) أشعار... ص : 31.

خامسا - المقومات الإبداعيـة

إذا كان الشعر تجربة إنسانية تهدف إلى التواصل بين مختلف المشاعر والأحاسيس، فلأن الوعي بأصولها وتجلياتها سبيل إلى الكشف عن قدرتها على التمسك بالعمق الشعري في الفهم والتحليل والتأويل، وإلى الحرص على التواصل بين مقومات الذات والآخر والكون. والشاعر في مثل هذا الكشف يعيد صياغة فهم العالم ومدى التجاوب مع بنياته ومجالاته.

إن متلقي أشعارخالد الفيصل يجد فيها هذا التمازج الذي يصنع لحظته الإبداعية ليعيد لفروسية الشعر فنيتها وغنائيتها ومقوماتها وتطلعاتها (عمق التجربة)، وليحقق أبعاد التفاعل بين الفن والروح والمشاعر والجمال وبين الذات والإنسان والوطن والمكان (الوعي بالتواصل).

أ - عمق التجربة :

«يقصد بالتجربة في الشعر الصورة الكاملة النفسية والكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينمُّ عن عميق شعوره وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهارة في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم، بل إنه يغذي شاعريته "بجميع الأفكار النبيلة ودواعي الإيثار التي تنبعث عن الدوافع المقدسة وأصول المروءة النبيلة"، وتشف عن جمال الطبيعة والنفس»[86].

---

(86) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ط. 4، 1969، القاهرة، ص : 384.

وإذا كانت التجربة ضرورية للشاعر فلكونها تمثل رؤية الذات المبدعة إزاء نفسها ومحيطها، ولكونها تتخذ أيضا موقفا من الحياة والكون. ومتى استطاعت التجربة أن تنجز هذا الموقف وتلك الرؤية فإنها ستصبح حينئذ استجابة صوفية تربط بين الإنسان والآخر ضمن علائق الفكر والعاطفة بالكون الشعري.

وإذا كان لنا أن نتحدث عن التجربة الشعرية لدى الشاعر خالد الفيصل فلأنها تجسد تجربة عاطفية بكل ما فيها من صدق المشاعر ونبل الأخلاق وصون الأواصر وعمق التفكير والوعي بتجليات الكون وإدراك كنه العلاقات الإنسانية، وبكل ما فيها من قدرات كبيرة مما يجعلها تحقق فنية الصورة وسعة الخيال وجمالية التعبير وجرس الحروف ورقة الألفاظ وجزالة التركيب وانسياب الانسجام.

لذلك كان حضور هذه العاطفة – بمجالاتها المتعددة في تجربة خالد الفيصل الشعرية – سمة تطبع إبداع الشاعر بالكثير من الخصوبة الفنية. ويمكن تحديد بعض معالمها فيما يأتي :

1 – فنية التجربة :

وهي تقوم على أساس تأثر الشاعر بأحواله الذاتية والإنسانية وصياغتها صياغة فنية تستلهم من جمال الإنسان والطبيعة والسلوك ما تزخر به أشعاره، وهي تعبر عن رؤية فنية يدرك الشاعر بها سمو علاقاته بالحب والجمال، ونهجه في ذلك رهافة حسه كإنسان محب، ورقة طبعه كشاعر فارس :

أحَبّ الناس لا تبطي علينا
ترانا لو شربنا ما ارتوينا
أمنّي عيني بشوفة جمالك
لعل الوقت يسمح لك تجينا
.. تطلّف.. ثم تلطّف.. ثم عوّد
ترَى لو شافني صخرٍ يلينا
ولو تسمع نجوم الليل شعري
مشت لك تطلبك ترفق علينا(87)

وفي الوعي بضرورة التجربة الفنية يخلص الشاعر إلى خطاب يصبح القصيد فيه مطلبا في حضوره حضور للمحب، وفي غيابه حضور في عالم الإحساس والتأمل. ومثل ذلك يبسط عمق الرؤية الفنية في توحدها بين النظر بالقلب والمناجاة بالفكر :

عَزّ القصيد وزاعلتني حروفه
من يوم غاب اللّي قصيدي مهاويه
غابت به الدنيا وخلّت طيوفه
عزّي لمن مثلي زمانه يعاديه
عقب الملاقَى بس بالقلب أشوفه
وعقب المناجَى بس بالفكر أناجيه(88)

(87) أشعار.. ص : 454.
(88) أشعار.. ص : 219.

2 – فعالية الغنائية :

وهي تسم قصائد الشاعر بإمكانات تجمع بين حسٍّ ذاتي وآخر إنساني، وهما معا يجسدان نزعة جمالية تطبع الغنائية بالكثير من ألفاظ معجم الحب وما ارتبط بتجلياته من صور تخييلية توحِّد بين الشاعر ومحبوبه مما يشكل فضاء تتماهى فيه الذات وتنصهر فيه الأفكار ليصبح القصيد فيه أغنية تشع شحناتها بفعالية غنائية ثرّة :

يا بنات الفكر غني وارقصي
عند خلّي وانشدي له من غناي
وسّعي صدر الحبيب واطربي
طربتي لَهْ كلّما ذَغْذغْ[89] هواي[90]

ولم تكن غنائية الشاعر إلا مظهرا لفروسية شعرية خلصت إلى مذهب شعري يلمُّ بإرهاصات الذات وهي تعشق الحبيب وتعانق الكون :

أنا غنيت من قلبي لقلبي
أغنّي له على نغمة ونينه
أغنّي له عسَى من ونّ قلبه
مثل قلبي جعل ربّي يعينه[91]

---

(89) ذعذع : ذعذع النسيم أي نفحة النسيم، والمعنى أن العاشق يطرب كلّما هبّت نفحات الهوَى على المحبوب.
(90)أشعار.. ص : 318.
(91) أشعار، ص : 60.

3 – شعرية الأصول :

تعتبر مقومات التجربة في شعر خالد الفيصل إنجازا لشعرية متميزة، اتسمت بمعجم وسائل الأداء الفنية المتضمن لفروسية الكلمة التي دأب الشاعر على نهجها، باعتبارها أداة (أو أدوات) إبداعية تكسب الإبداع سلامة دعائمه وحكمة مقاصده، بالقدر الذي يسهم في بناء تجربته الشعرية. ومثل هذا التوجه يجعل من هذه الفروسية ليست مجرد دلالات تتعلق بالحب الإنساني فحسب، ولكنها فروسية تبني شعريتها بأسس نقدية. وهذا ما يوحد بين الشاعر والناقد. وهذه هي طريقة فحول الشعراء الذين ضمنوا تجاربهم الشعرية الإشارة إلى آلياتها، على نحو ما نجده عند كبار شعراء الفصيح والنبطي خلال العصور.

وعندما نحلل شعرخالد الفيصل نجد معجما من وسائل الأداء الفنية، حيث تترى في شعره الإشارات إلى آلياتها كالقصيدة والأشعار والحرف والقافية والطاروق والبيت والنغمة والونة والأمثال والإنشاد والتعبير والقول وغيرها :

أغيّر[92] الطاروق والقاف[93] وابدع
وأولّع قلوبٍ تحس بولعنا
واسير في بستان الأشعار واقطع
وردة قصيدٍ مثلها ما زرعنا

---

(92) أغير : أبدل.

(93) الطاروق والقاف : يقصد بالطاروق ألحان الشعر أي أوزانه وبحوره. والقاف مأخوذة من القافية.

وأحاكي الوجدان والقلب وانزع
من كل قلبٍ ونّةٍ من وجعنا
وأجاذب الونّات في كل مطلع
لأهل الغرام اللّي يونّون معنا
وألاعب النّغمات في كل مقطع
يطرب لها لبيب قلبٍ سمعنا
.. واصبّها في بيت الأشعار واسمع
صرخة فوادٍ قال معك اندفعنا[94]

كما كثرت في شعره الإشارات إلى مقاصده الشعرية التي تكوِّن الدلالات الشعرية كالجمال والعقل والقلب والشوق والغرام والعشق والخضوع والروح والرعشة والانتشاء والعجيب... وكلها تبرز مقاصد القصيد :

أجمع حروفي واشكّل صورتي
والغريب أجمع شتاته بالعجيب
مرّةٍ ترقص حروفي للهوَى
ومرّةٍ أسمع من حروفي نحيب[95]

وكل من هذه الآليات والمقاصد يجعل من قصيدة الشاعر وحدة فنية تغوص في تجربة بطولية يصبح فيها قصيده بناء متراصا :

(94) أشعار، ص : 8.
(95) أشعار، ص : 295-296.

انـتشـى حـرفـي عـلَـى الـمـعـنَـى وغـرّد
والـقـوافـي نـاغـمت بـيت الـقصـيـده
والـزمـان الـلّـي مضَـى لـلشـعـر عـوّد
مـن رياض الـفـكـر نستلـهـم جـديـده[96]

4 – تفعيل المخيلة :

وإذا كان الشعراء يصْبون نحو الكمال، باعتبارهم من أكثر مَن مُنحوا طاقة التعبير والقدرة على الإيحاء والجدة في الابتكار، فإن خالدا الفيصل قد أخلص في تحمُّل مسؤولية الشعر بصَوْبه نحو التألق في إبداعه بابتكار المعاني وتفعيل المخيلة :

لاعـنـي وقـتـي ولـوّعـت الـقصـيـد
ومـن ورا حـد الـبـحـر حـرفـي زمَـى[97]
والـتـجـيت بـحـرف مـعـنـاي الـجـديـد
والـخـيـال الـخصب فـي فـكـري نـمـا[98]

إن الشاعر خلال مسيرته الفنية كان واعيا بالصورة الشعرية وما تستدعيه من توالد الأفكار وتناسل المعاني باحثا عن الجديد ومتجاوزا كل تقليد :

(96) أشعار، ص : 188.
(97) زمى : كَبُر، ارتفع.
(98) أشعار.. ص : 290.

أنا تسلّى بالشعر لَى توصّفت
والاّ فلا بالقول مهنة حياتي
ما قد سرقت البيت والاّ تسلّفت
ما اقلّد الشّعار شِعري مرآتي
أنظم ثلاث عُقود واليوم ولّفت
مع أوّل الرّابع ثلاث خرزاتِي
ما أناظر اللّي راح.. ما يوم وقّفت
عيني لباكر وش معه لي بياتي[99]

ومثل هذا الإحساس الفني بعمق التجربة الشعرية عند خالد الفيصل يتيح للشعرية العربية الوعي بمقصدين اثنين :

يتعلق أولهما بخلود الشعر الإنساني بما فيه من دلالات الحكمة والتأمل. ويتعلق الثاني بتوحد الشعر والشاعر بما بينهما من التمثل والانسجام :

الشعر معنَى حكمته بُعد الإدراك
وما كل ما يلمع علَى النور غالي
والشّعر صورة شاعره فيه تلقاك
إمّا لبس لك جوخ والاّ سمالِ[100]

(99) أشعار.. ص : 123.
(100) أشعار.. ص : 196.

ب - الوعي بالتواصل :

إذا كان عمق التجربة المرتبط بالذات يغوص في أعمال الشاعر خالد الفيصل، فإن الوعي بالتواصل مع الآخر ينجز مقصدا نبيلا يعبر عن علاقاته بالذات والوطن والإنسان والمكان... حيث يستبطن في نسيجه الشعري عقيدته الإسلامية وقوميته العروبية وانتماءه الإنساني، ولذلك فإن الشاعر - باتساع أفق تجربته الإبداعية - يروم تواصلا حميميا في علاقاته الإنسانية التي تفضي إلى تفاعل بين بنيات التجربة الإبداعية ومجالاتها. وإن المتأمل في أبعادها يلمس مدى قدرة الشاعر خالد الفيصل على الإخلاص لإنسانيته من خلال تطلعه إلى "تـوَجْـدُنِ" الذات وتقدير الآخر والنزوع إلى الإنسانية والألفة بالمكان، وهي جماليات حقق لها الشاعر شعرية استوعبت آفاق الانتماء إلى العقيدة والوطن والإنسانية.

1 - وجدانية الذات :

إن حضور الذات بعشقها وخضوعها يقيم كيانا طبع ذاتية الشاعر بالكثير من مشاعر الوجدان وأحاسيسه. ومن ثم لم يكن غرض الغزل مجرد توصيف للغة عادية، بقدر ما كان تطلعا لسمو الذات وهي تبحث عن الحب باعتباره منبعا للوجود يحقق الأمن والجمال والطهر والصفاء. ولم يكن الاستسلام للخضوع إلى الحب إلا سبيلا إلى مراودة المثال والكمال إذ تهفو إليه الأنفس وتتوق إليه القلوب. ومثل هذا السمو في تجربة خالد الفيصل يجعل من تملكه لمعطياتها الشعرية شاعرا متميزا بفروسيته، لما فيها من مقاصد نبيلة تتضمنها الحمولات الغزلية المعبرة عن طموحه للفروسية الشعرية، والمعبرة

أيضا عن إحساسه بفروسيتها الرامية إلى إقرار أصالة الذات وقوة الشخصية – وهما أساس تكوين الشاعر/الفارس – وإلى استجلاء قيم البداوة وفضائلها التي تتغذى بها أشعار خالد الفيصل التي يتوسل فيها بالحب والصدق، وهما أساس الفروسية الشعرية :

نوَى القلب نيّه ما نواها لأحد غيرك
نوَى اللب يمشي لك علَى السّمع والطّاعه
مع الشكّ والغيره وهجرك وتقصيرك
احبّك واقول امرك له الرّوح خضّاعه
جمعنا طريق الحب وانور بتنويرك
علَى صدفةٍ لقلوب الأحباب جمّاعه
ملكني هواك وقادني بأمر تدبيرك
امانه معك روحي من البعد ملتاعه
تغزّلت بك والشّعر من بعض تعبيرك
كلامك سحر يخلف موازين سمّاعه
تقول الغزل منّي شغل كل تفكيرك
عسَى واعسَى والنّفس بالزّود طمّاعه[101]

2 – تقدير الآخرين :

إن أنا الشاعر لا تمارس حقها في الفخر، لأن سجاياها تأبى إلا أن تقيم علاقات النحن، ففيها تتكامل المزايا وتنصهر الأواصر، مما يجعل أخلاق صاحبها تتسم بسواء شخصيته، إذ تتوازن الأنا والنحن وتتعادلان.

(101) أشعار.. ص : 70.

لذلك نلمس في أشعار خالد الفيصل في هذا المجال بُعْدين اثنين :

يبرز أولهما "**الحِسّ الأسري والوطني**" وهو يفيض بالمحبة وتسوده مشاعر الوفاء. ويعتبر ذلك نموذجا يحتذى في المجتمع العربي والإسلامي وقدوة لسلوك إنساني، وهو مجال يبرز تربية خلقية سامية يلتحم فيها الأفراد، وتترسخ فيهم أسس التقدير للآخرين واحترامهم، ودعائم الفخر والاعتزاز بهم. وكأني بالشاعر لا يقصد بذلك المدح والثناء بقدر ما يتمثل معالم شخصيات فاعلة في وطنه وفي أخلاقه، وهذا يُكبر من شأنه لما في حرصه على استجلاء أفضالهم والإفضاء بمكارمهم من إحساس بعظيم مكانتهم والاقتداء بمثالية قدوتهم. وقد برزت هذه الدلالات في عدد من القصائد التي جسدت نزوعا إلى الكمال وإحساسا بـ "**نشوة العز**" :

عبد العزيز اللّي له القاسي يطيع ويلين
تهتزّ ساحات الوغَى لَى طب ميدانها
يفخر به التاريخ وتردّد نباه السنين
وتشهد له الخيل الاصايل واشهب سنانها
.. يارياض المجد نجم العز ناض
أنشر الفرحه علَى باقي الرياض
الحسا، وابها، وحايل، والحجاز
الوطن يا راية التوحيد فاز[102]

وتعتبر قصيدة "**نشوة العز**" ملحمة لمسيرة ملك قاد شعبه في وقت عصيب إلى الوحدة والبناء. ولم تكن صفات البطولة والتحدي مما

(102) أشعار، ص : 410 و415.

تميز به جده جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمان آل سعود رحمه الله إلا نزوعا لحسٍّ وطني غامر توحَّد مع الحس الأسري.

وعندما يتوحد كلا الشاعر والوطن ويقوى لديهما الإحساس بالمجد الذي يستمدانه من سيرة الملك عبد العزيز، تضحى قصيدة "أبريت التوحيد" معلمة وطنية تعتز بوحدة أقاليم المملكة، وبنهجها الإسلامي في بناء المؤسسات[103] :

يامرحبا ترحيبة العيد الجديد
بالّلي رقَى سور المعالي وانتصر
يامرحباً يا جامع أطراف البعيد
يا غاسل قلوب الملا عقْب الكدر
ملّيت من حكم الغريب
مليّت بوقات[104] السّروق
يا ما نظرتك[105] يا الحبيب
قلبي علَى وصلك يتوق
وبالتوحيد وحّدنا الإله
وحدنا الوطن[106]

وبمثل هذا الحس الوطني ترددت صلات التقدير والوفاء لوالده جلالة الملك فيصل رحمه الله ولأخويه الأميرين عبد الله الفيصل وسعد

(103) راجع تقديم الأبريت في أشعار... ص : 356-357.
(104) بوقات : سرقات، اختلاسات.
(105) نظرتك : انتظرتك.
(106) أشعار... ص : 363.

الفيصل ولعميه الأمير سلطان بن عبد العزيز والملك عبد الله بن عبد العزيز[107] أطال الله عمريهما. والشاعر في هذه القصائد لم يكن شاعرا ما دحا يتلمس خصال المدح، بقدر ما كان شعره فيهم تغنيا بفروسية طالما نشدها في تجربته الشعرية باعتبارها مكونا شعريا حرص الشاعر على استجلاء بنياتها فيمن يقدرهم ويستلهم منهم شيم القدوة.

أما البعد الآخر فيتعلق : "**بالحس الشعري**" الذي ينبض إبداعا من خلاله انتمائه إلى سلالة شاعرة، حيث نجد نموذجا رائعا للتواصل الإبداعي بينه وبين أخيه الأمير عبد الله الفيصل. ولعل في إهداء هذا الأخير ديوانه "مشاعري" وتصديره بكلمات «**إلى شقيقي الروحي.. وأخي الغالي، أهدي "مشاعري" إلى الشاعر الكبير خالد الفيصل.. إعزازا ومحبة**» ما يعبر عن «أروع معاني الحب بين الأخ وأخيه، وإعجابا بشاعرية المهدى إليه، ووفاء صادقا ينبض بالمشاعر الفياضة بالإعزاز والإكبار من أمير شاعر مبدع إلى الأمير الشاعر المبدع خالد الفيصل»[108].

ومثل هذا الإقرار بأخوة الإبداع إقرار بالانتماء إلى مدرسة الوالد الملك فيصل ومناخها الشعري، وقد تحدث عن هذه المدرسة عبد الله الفيصل حين قال : «**والدي رحمه الله كان مدرسة جامعة وكنت أشعر أنه يجب علي أن أنهل منها ما استطعت، بالإضافة إلى أن المناخ الشعري الذي أحاط بوالدي أثّر فيَّ أكبر الأثر، ومن هنا عرفت محبتي للشعر. فوالدي كان هو**

---

(107) راجع بعض النماذج في أشعار.. ص : 167/11 و143/169 و406/399 و403/408.

(108) التجربة الإبداعية في الشعر الشعبي للأمير الشاعر عبد الله الفيصل، د.عبد الله بن محمد الحميد ضمن كتب : الشاعر عبد الله الفيصل، ج : 1، ص : 349-350.

أيضا شاعرا نبطيا من الطراز الأول، وكانت المساجلات الشعرية تقوم آنذاك في منزلنا بين شعراء الحجاز»[109].

وقال في مناسبة أخرى : «**والدي كان أستاذا عظيما، بكل ما في العظمة من معان، ولا أقول هذا لأن هذا الأستاذ كان أبي، فأطلق عليه هذا الوصف تحت تأثير الأبوة، وانفعالا بها، كلا والله، فكثيرا ما حاولت أن أتجرد من هذه العاطفة لأحلل شخصيته، فأخرج من كل هذه المحاولات، وأنا مؤمن بأن أبي رجل مثالي وعبقري عظيم**»[110].

كما أن تبادل الإحساس بالشاعرية عند الأخوين لم يكن مجرد مجاملات اقتضتها مناسبات القول، وإنما كان حرصا على استجلاء صدق التجربة الإبداعية والوفاء لمن أسهم فيها بالاعتناء بقريحتها والإشادة بفروسيتها. وعندما قرأ خالد الفيصل في لقاء صحفي قول أخيه عبد الله الفيصل «**كنت أستاذا لخالد وهو الآن أستاذي**»[111]، كان "حسه الشعري" سبيلا إلى الاعتراف بالجميل :

إن جاز لك ياسيّد الشعر شعري
تراه من فضلة معانيك تذكار
مديون لك بلسان قلبي وفكري
باللي يصير وبالذي ما بعد صار
.. محدود شعري يا اشعر الناس عذري
فضلك بحر والشعر مقطور قطّار[112]

(109) نقلا عن الشاعر عبد الله الفيصل، ص : 378

(110) ن. م. ص.

(111) أشعار... ص : 167.

(112) أشعار.. ص : 167-168.

مع أن الإبداع الشعري لدى الأخوين يتسم بخاصية الانتماء إلى مدرسة شعرية واحدة، ولم تكن الأستاذية في الشعر بينهما إلا ترويضا للقريحة الشعرية والحرص على تفوقها، بالرغم من اختلاف منحاهما في مسيرتهما الشعرية.

3 – النزوع الإنساني :

يعتبر النزوع الإنساني في أشعار خالد الفيصل حسا إنسانيا جديرا بالإكبار، لما فيه من فروسية تطبع ذاتيته بالكثير من العلاقات المتينة بالآخر، إذ تجسد نفسية طاهرة ذاتَ صفاء ونقاء، بعيدة عن الكبرياء والتعالي، ولا يشكل هذا الخلُق مجرد سلوك تربوي فحسب، ولكنه سمة فكرية عبرت عن إحساسه الإبداعي الذي لا يرقى إلا بسمو العلاقات الإنسانية. ومن ثم كان شعره في سياق الوعي بالتواصل يستمد من الإنسان معطيات الفضيلة باعتبارها رؤية واعية بالأسس التي ترسخ البعد الإنساني. ومن تجليات هذه الرؤية التشبث بقيم الحب والجمال والحكمة.

فالحب – وهو قيمة مهيمنة على العلاقات الإنسانية – يعمق موقف الأمير الشاعر من الآخر/الإنسان بما له من قدرات فاعلة في بناء الذات والمجتمع، وليس الحب – بمفهومه الغزلي – لدى الشاعر إلا توقا لسمو علاقة إنسانية يتطلع إليها باستمرار. لذلك كانت المحبة والمودة قد رسمت شعور الأنا في علاقتها بالنحنِ. وفي ذلك تواضع كان سبيله لدى الشاعر رسمَ نموذج إنساني يعلّم سمو العلاقات الإنسانية، ولم يكن الخضوع للحب حرصا على التملك بقدر ما كان سلوكا يقهر تعالي "الأنا" ليطيع "النحن" :

يا اللّي تعرفون الهوَى لا تلومون
يلومني من لا درَى ويش حالي
الحب يودع عاقل النّاس مجنون
يودع كبير السّن مثل العيالِ
وأهل الكرم والجود لأجله يذلّون
يشحذ عزيز النّفس فيه الوصالِ
إن ساعد العشّاق حظٍ يسجون[113]
أسعد ليالي العمر هاك الليالي
وإن عاكست سود اللّيالي يموتون
الحب غربالٍ[114] من أوّل وتالي[115]

وإذا كان الحب – وهو قيمة أخلاقية مهيمنة على العلاقات الإنسانية – يرتبط بمجالات الشمولية والتكامل، فإن الجمال – باعتباره أسمى صفات الوجود – ليس وصفا يجدُّ الشاعر في صنع تقاسيمه، ولكنه يمثل تطلعه إلى الجلال الذي يقدس عظمة الخالق تعالى فيتأمل الكون ويقدّر الإنسان، ومن ثم كان الجمال الذي يتكامل مع الحب سبيلا إلى تواصل عميق بين "أنا" الشاعر و"نحن" الآخر :

من يقول الزّين ما يكمل حلاه
كل شي في حبيبي اكتمل
الله اللّي كمّله والله أعطاه
ما بقَى للزّين في خلّي محل[116]

---

(113) يسجون : يهيمون مع الخواطر.
(114) غربال : مشقة
(115) أشعار... ص : 54
(116) أشعار... ص : 273-274.

أما **الحكمة** فهي نهج تأملي يستمد من تجربة الشاعر سلوكا من خلاله يتم الوعي بالذات والإنسان وإدراك كنه الأحداث والعلاقات والمواقف، وهو سلوك واقعي لا يروم فلسفة بقدر ما يجعل العبرة من التجارب والاعتبار بصروف القدر منحى فكريا وَسم أشعار خالد الفيصل بمقوّم عقلي شديد الارتباط بالوجدان. وفي ذلك كانت الذاتية – في بحثها عن الكمال – سمة تسعى إلى تلمس الحكمة لأنها رؤية تعمق فاعلية التأمل والإبداع. ويمكن أن نذكر بعض أبيات الحكمة التي خلص إليها الشاعر في تجاربه :

– حكمة عزيزٍ جعل الغيب مجهول
والله جعل في كل قلب دليله[117]

– واللّي يريد المجد لابد يبني
في قلوب وعقول المخاليق بنيان[118]

– ما يعرف الجمر مثل الذي يكتويه
أحد يدفا بناره واحد فيه يتصلّى[119]

– من عانده وقته وقلبه يعاند
مالت به الدّنيا يسار ويمينِ[120]

وهذه التجليات الحكمية التي تضمنتها فروسية خالد الفيصل الشعرية غيض من فيض، لأنها تستمد من عمق تجربة الشاعر قدراتها

(117) أشعار... ص : 161.
(118) أشعار.. ص : 163.
(119) أشعار.. ص : 256.
(120) أشعار.. ص : 302.

على الوعي بالتواصل، لأن في الوعي به إقرارا بالسلوك الشعري الذي يكسب القصيدة الأميرية توهجا عاطفيا وحسا جماليا وحكمة بالغة... وفي ذلك مقاصد نبيلة لقيم خالدة.

4 – ألفة المكان :

ومن سبل التواصل في أشعار خالد الفيصل ألفة المكان بما تشيعه لديه من إحساس قوي يحمل دلالات الانتماء إلى وسط يمارس فيه حضوره وإبداعه.. ومن ثم تضحى الطبيعة كيانا شعريا يبني فيه الشاعر أحلامه وأمانيه، ويؤسس فيه حماه واستقراره، ويعانق فيه ذاتيته وإنسانيته، ويحقق فيه هدوءه النفسي وصفاءه الروحي... وفي ذلك ألفة تتيح للفروسية الشعرية مكونا فاعلا آخر يثري إبداعها بالقدر الذي ينجز تألقا فنيا.

وإذا كانت الطبيعة في هذا السياق ملاذا للشعراء، فإن الشاعر لا يتواصل معها عبر الذاكرة، كما أنه لا يحاكي المدونات، بقدر ما يصرِّف الخطاب على وجهات تنتمي أساسا إلى البيئة وما تحكمت فيها من دعائم وأسباب. لذلك كانت الصحراء بمجالاتها المكان الذي مورست فيه الفروسية بكل مقتضياتها وألوانها، مما جعل المعجم الشعري يزخر ببعدي المكان الوصفي والشعري، ومن خلالهما كان خالد الفيصل شاعرا خبر البعدين. فلم تكن " نجد" – كما سبق القول – مجرد مكان يقع في شبه الجزيرة العربية فحسب، ولكنها مكان ذو إحساس متجدد بشعرية خلاقة ومتميزة[121].

(121) راجع المبحث الرابع من هذه الدراسة.

إن الصحراء لدى الشاعر تحمل مُثلا جديرة بفضائل التكريم، فهو يرسم معالمها ليقدمها – باعتبارها أغنى ما لديه – تحية شوق ورسالة غرام من شاعر الصحراء إلى لبنان :

رسمها شاعر الصحرا معاني
وشكّلها من ألوان الكلاما
أقدّمها نداةٍ من سحابه
غداة الصبح في زهرة خزامَى
وأقدّمها مساة الليل قمرا
تنوّر درب صبٍ مستهاما
وأقدّمه رياضٍ في صحاري
ورودٍ تهدي العين ابتساما
وأقدّمها من الظبي التفاته
ورقصات الحباري بالعداما[122]
وأقدّمها من الخيل الأصايل
مهابه واعتزازٍ واحتراما
وأقدّمها من صُقور الحَرارا
شجاعة حُر في يوم الزحاما[123]

وليست الصحراء مجرد ذاكرة تختزن ذكريات طفولة الشاعر فحسب، ولكنها حضور دائم في واقعه وفي ذاكرة إبداعه من خلال رحلات القنص :

(122) العدامه : التل الرملي أو الطعس.
(123) أشعار.... ص : 427.

أنا والصّحاري والمطر والفرس والطّير
ونبت الخزامَى والظبي والشّعر خلاّن
بنيت البيوت من الشّعر والشّعر تعبير
عن الماضي الحاضر وعمّا يكون وكان
أحب القَنَص بارضٍ قَفر ما وطاها الغير
وصهوة فرس كل الكرامه لها ميدان
ومنظر غديرٍ ترتعش فيه شمس عصير
وطعسٍ حمر عقب[124] المطر ما مشاه إنسان
وشوف القطا سربٍ تواقَع سرب يطير
وفزّة ظبيٍ حذّر بها غافل الغزلان
شمسٍ مضت بدرٍ ظهر والنجوم تسير
وريح النّفل هيّض شجوني وانا ولهان
وبالليل أشبّ الضّو مع ضيفي التفكير
وبالفكر تقدح لمعة النّجم والضيّان
أقلّب جمر ضوّي وبي مثلها تجمير
شرار وشرار وليل وموَلّعٍ حيران[125]

وتجسد هذه القصيدة تواصلا عميقا بين الذات والصحراء، وبينهما تتكثف معالم الفروسية الإبداعية، فخالد الفيصل المبدع/الإنسان، والصحراء/الأصالة، والطبيعة/التجليات... كلها تتوحد قيمها، وفي هذا التوحد تصبح الألفة مسارا متجددا من خلال تواصل

(124) عقب : بعد.
(125) أشعار.... ص : 233.

عناصره بين الشاعر والصحراء، حيث يتحكم الارتباط بين عواطف الشاعر وبين عناصر الطبيعة، ومن ثم يشيع الشعور بالطمأنينة.

وإذا أدرك الشاعر خالد الفيصل المقومات الفاعلة في أدبية الصحراء، فإنه جسد أيضا أدبيات البحر حيث يتجلى مستوى آخر، وهو مستوى الصبر والتحدي من أجل الغوص في الخيال الخصب :

ويل من يا قَف علَى الموجه وحيد
البحر حدره ومن فوقه سما
يلتطم موجه وعاصوفه شديد
الرعَد والبرق والماطر همَى
يلتفت والشّط عن عينه بعيد
كل هاك الما وهلكان ظما
تنقص الشّوفات والحيره تزيد
والبصير يصير بالظّلمة عمَى
وأعذاب اللّي صوابه بالوريد
خاتله هدّاف الأوجاع ورمَى
لاعني وقتي ولوّعت القصيد
ومن ورا حد البحر حرفي زمَى[126]
والتجيت بحرف معناي الجديد
والخيال الخصب في فكري نما[127]

(126) زمَى : كبُر، ارتفع.
(127) أشعار.... ص : 290.

وإذا كان عمق التجربة في إبداع الشاعر قد أتاح لإبداعه خاصية التواصل بين كل القيم الجمالية المشار إليها، فإنه قد حقق للمتلقي إدراك كنه الإبداع لما فيه من سمو الدلالات ونبل المقاصد مما أتاح له (أي للمتلقي) الشعور بمتعة النص والإحساس بتفاعله معه.

لقد اكتسبت بنية الإبداع في التجربة الفنية والوعي بتواصلاتها مجالات عدة لم تقتصر على تفاعل رؤية القصيدة بمكوناتها الدلالية والإبداعية ولا على توحد الشاعر/الإنسان والإبداع/التجربة فحسب، ولكنها رامت تواصلا حميميا بين الشاعر والمتلقي باعتبار علاقاتهما التي تشكِّل خاصية التماهي الإبداعي بين القيم الجمالية التي تضمنها النص، وبين تلقي لَذاته والانتشاء بها. ويجسد كل ذلك مقومات التفاعل والمعاناة المتوسلة بأدوات الوصف والتأمل. وتلك شعرية استطاع خالد الفيصل أن يبلغ بها عبر نظمي القول واللون مراقي الارتقاء الإبداعي.

سادسا - النسيج الإبداعي

إذا كانت تجربة الشاعر خالد الفيصل ترتكز على الذات في رؤيتها للعالم، فإن نسيجه الإبداعي اعتمد على مرجعيات استمدت مقوماتها من صون العقيدة والهوية والشعرية التي أمدت الواقع في محاكاته وفي انزياحه بالكثير من مظاهر الفن واليقين، ومن ثم كانت كل أسس الذاتية والمرجعية سبيلا إلى تكثيف العمل الإبداعي بمختلف تمثلاته ومقارباته.

أ - إرهاصات الذاتية :

إذا كان الإبداع يتعمق الذات في أغوارها، فلأنه يروم حضورها ضمن فعاليات الذاكرة التي تستمد مقوماتها من الطفولة وإرهاصاتها ومن التربية وأخلاقياتها ومن التجارب وممارساتها. أما الفاعل في كل ذلك فيتعلق بالمشاعر والأحاسيس التي ترسخ أصالة الذات الباحثة عن الفروسية لتحقيق مظاهر السلوك القويم في القول والعمل.

لذلك كانت الذاتية ومكوناتها الثقافية والتربوية وعلاقاتها الاجتماعية وتواصلاتها الإنسانية إرهاصا إبداعيا طبع تجربة الشاعر خالد الفيصل بمعطيات فنية أسهمت في الشعرية العربية بإغناء ما هيمن عليها من رومانسية الدلالة وغنائية الأداء. لذلك تولدت لدى الشاعر ثنائيات الحب والعفة، والذات والآخر، وثنائيات الرقة والجزالة، و القصيدة واللوحة، مما كون وحدة إبداعية تمازجت فيها أنماط الشعرية في مختلف تنويعاتها الفنية. وقد نشدت هذه الوحدة مثلا خالدة في القيم الإسلامية والإنسانية.

وهذا ما جعل الفروسية – باعتبارها تطلعا إلى المثال– قدوة لثقافة منحت السمو الحضاري للذات وللآخر في انسجامهما لارتياد آفاق شاعرة، فدلالة الذات كانت في وجدانها المعبِّر عن أثرى ينابيع الوجود، وكانت مطلبا ملحا للمشاعر الإنسانية التي تتخذ من الحب نهجا فروسيا تلتئم فيه قيم المودة والكرامة وما يندرج فيهما من الخير والحق والجمال والشهامة والاعتزاز، وفي ذلك تشبث بمثالية الواقع وفق ما يهفو إليه المبدع.

وإذا كان خالد الفيصل قد وعى بآفاق ممارساته الإبداعية فإنه أقرَّ مذهبا جماليا لا يقوم على أسس الحب والمتعة والمنفعة فحسب – كما هو الشائع لدى بعض الفلاسفة – ولكنه يقوم أيضا على الوعي بماهية الوجود باعتبارها وسيلة لإدراك رسالة الإنسان ومسؤولياته إزاء نفسه وغيره، لذا كانت قيم الذاتية التي تشبث بها الشاعر دعامة لسلوك أخلاقي ومذهب فلسفي. إذ أن الحب لديه – وإن اعتبر المكون الدلالي والرؤية العامة للإبداع – حرص على النظر إلى النفس وما يعتمل فيها من مشاعر وتساؤلات.

ومن ثم كان الحب عند الشاعر ضرورة إنسانية تتعدد مجالاتها بين الفرد وذاتيته، وبين المجتمع وعلاقاته. وهذا ما يجعل المقومات الواصفة في معجم الغزل والنسيب والتشبيب ترسيخا لقيم الحب باعتباره فاعلا في الفروسية وسَواء الشخصية، وكذا باعتباره تجسيدا لمذهب جمالي يقدِّر صدق المشاعر وسمو الأخلاق وصفاء الكون، من منطلق أن الباعث على إنجاز كل ذلك هو الحب باعتباره مقوما للذاتية، ضمن فعاليات متعددة يتجاوزها الشاعر.

لقد حلل الفلاسفة الحب من وجهات متباينة :

فمن الوجهة النفسية : الحب عاطفة غريزية في الكائن الإنساني.

ومن الوجهة الاجتماعية : الحب هو المجسّد لطبيعة وحدة العلاقات الاجتماعية التي تثمر روابط إنسانية مصادق عليها في المجتمع لنشر لواء الأخوة والسلام.

ومن الوجهة الفلسفية : الحب هو النظرة الغائية في العلاقة بين الإنسان والكون.

ومن الوجهة الأخلاقية : الحب هو السلوك الإنساني الذي يحقق لذة للنفس وراحة للضمير.

ومن الوجهة الدينية : الحب هو النظرة المثالية الروحية التي تطمح إلى التفوق على النفس وطبيعتها لتصل إلى الفضيلة العليا، أي التواصل مع الذات الإلهية.

وفي تعدد هذه الوجهات إشكالات اختلفت توجهاتها باختلاف مذاهب الفلاسفة[128].

وإذا كان خالد الفيصل في مذهبه الجمالي – وهو يتوسل بالحب – قد تمثل أبعاد تلك الوجهات، فلأنه رام الذاتية والعوامل الفاعلية فيها لإقرار مبدإ "**أحب وافعل ما تشاء**"، وتجليا لذلك أحب خالد الفيصل المرأة والأسرة والوطن والعالم متغنيا بالتواصل الإنساني الذي ينشد المحبة والعفة والجمال. وهذا ما ينجز توجها نحو مثالية الأمر

(128) راجع مقالنا : الأخلاق ومشكلة الحب، 1975 (مرقون).

الإجباري في (**أحب**)، ونحو تحمل المسؤولية وممارسة الحرية في (**افعل ما تشاء**) وعندما تتداول ماهياتها وأنساقها تصبح رؤية تنبع من ضرورة الواجب الذي يفرض سلوك الحياة، وليس في فرضه من لدن سلطة الذات أو سلطة الآخر مجال للقهر والاستعباد، وإنما هو مجال لصون ذاتية الإنسان وتمجيدها في أبهى مظاهرها سواء تعلقت بمشاعر الإنسان أو بإحساس الآخر أو بالتواصل مع الكون. وهذا ما حققته أشعار خالد الفيصل.

ب - الأصول المرجعية :

وإذا كان الشعر يستمد من الذات قريحته الوقادة وخياله الجامح وتأثيره المرهف وتواصله مع الكون، فإن تمثله لعدة إحالات مرجعية حققت له تداولات أسهمت في بناء النص الشعري وتكوين مقاصده وتحديد مواقفه.

وإذا كانت أشعار خالد الفيصل قد تجلت معطياتها في الفن والسلوك انطلاقا من فكر له ثوابته ومن إبداع له مقوماته ومن واقع له نسقياته، فإن نهج التفاعل طبع مسيرته الشعرية بالعديد من المرجعيات، باعتبار أن الفن الشعري تتكشف فيه دلالات كثيرة تستغور الذات في أعمالها وتتواصل مع مرجعياته بصدق وحب.

وفي ذلك تفاعل يقيم نهجا فكريا تتمظهر بنياته في التجليات الآتية :

أ – عمق الإيمان بالله تعالى ومظاهره لدى الإنسان والكون، مما يجسد سبل العقيدة الإسلامية باعتبارها المكون لهوية الشاعر.

ب – قداسة الحب والمثل والفضائل، وهي تمثل السلوك الذي عبر عنه الشاعر في رسالته الإنسانية.

ج – تمثل التراث الشعري العربي في أشهر شعرائه كأبي الطيب الذي أعجب بشخصيته وأشعاره.

د – وحدة الوطن التي جعلها الشاعر نموذجا للتماسك والتكافل المحققيْن للتنمية والبناء.

هـ – الرؤية العروبية التي توحد بين الأقطار الإسلامية تمجيدا للرسالة المحمدية ولغة القرآن.

و – مسؤولية الإمارة وما تحمله من أعباء بناء مجتمع متكامل ومزدهر.

ز – روح الانسجام بين مقومات الشخصية الفاعلة في المجالات الاجتماعية والثقافية والإبداعية.

ح – جمالية التناغم بين اللغة والطبيعة التي أكسبت إبداعه وحدة الإيقاع سواء في جرس الكلمة أو في ألوان اللوحة.

ط – فعالية التضام التي أقامت النص الجامع في إبداعه المتضمن للأغراض الشعرية والفنون البصرية والكتابات الثقافية.

وتتعدد المرجعيات لدى الشاعر في العقيدة والوطن والكون وتجلياتها في أنماط الإبداع وأصناف المسؤولية، وكلها مرجعيات أكسبت نسيجه الإبداعي خبرة فنية تجسدت معطياتها في ثقافته الواسعة وحنكته في التدبير وبراعته في الإبداع، مما جعل ذاته تعانق الصدق وتخصِّب الحب وتستشرف الآمال العظام.

سابعا - التضام الإبداعي

يرتبط التضام الإبداعي بعدة فنون لما في بنياته ومجالاته من علاقات تتداخل فيما بينها وتنسجم، مفرزة نصا إبداعيا يُعد من أكثر الفنون تداولا. وفي هذا السياق تبدو إبداعات خالد الفيصل شعرا ورسما فاعلة في تلمس الرؤى التي تختصر القدرات الفنية والمقومات الجمالية، نظرا لما في أبعادها من شعرية تخترق الكلمة واللون، وتجسد الصورة فيهما المشاعر والأحاسيس بكل ما تحمله من صدق التجربة والعاطفة وجنوح الواقع والخيال وتدفق الدلالات والتجليات. ويمكن مقاربة هذا السياق ضمن نسقين فريدين تميز بهما إبداع خالد الفيصل، وهما لون الكلمة وإيقاع اللون.

أ- لون الكلمة :

إن اللون طاقة معبرة ترتبط بالصورة ارتباطها بالكلمة باعتبار "أن اللون هو أحد الثوابت في الطبيعة، وأحد المعايير التي نحكم من خلالها على الأشياء، إنه أحد محددات التمييز بين الأعمال الفنية البصرية خاصة، وهو خاصية أساسية في الحياة بشكل عام"[129].

وإذا كان الشعر يجسد خطابا بصريا أيضا، فإن إرهاصات الإبداع تتجذر في الذاكرة والشعور لخلق تفاعل بين الفنون، يلعب فيها اللون دورا أساسيا للتعبير عن مختلف الدلالات، ما دام يتأثر بأهم الوسائل الإجرائية في الفنون، ألا وهي الصورة بكل دلالاتها الإيقاعية والجمالية.

(129) التفضيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، ع 276، مارس 2001، ص : 284.

وإذا كان اللون في الصورة الشعرية يتوارى في نسيجها ويستبطن تصويرها، فإن ذلك من معالم الخطاب البصري في القصيدة وهو يتجاوز خاصية الإنشاد والتجسيم. لذلك كانت دلالة اللون تحمِّل الكلمة طاقة شعورية تعبرعن وحدة الشعر والرسم في إبداع خالد الفيصل، لكونها ديدنا يجسد مقومات الفروسية الشعرية التي تكتسب سبل المتعة والألفة وسبل الحب والجمال، من خلال إبداع فكرة تخلد الفن في اللوحة والقصيدة وتتيح لهما قدرات تعبيرية خلاقة بشحناتهما وصورهما :

مرت الدنيا
وأنا أرسم لوحتي
أرسم الفكره
على صهوة حصان
مرت الدنيا
وأنا شعري طفل
ما عصرت الروح
في حرف البيان...[130]

إن ممارسة خالد الفيصل لفنيْ الرسم والشعر لم يكن مجرد تلازم مارسه طوال السنين، وإنما هوانسجام فني يغور بتجلياته في أعماق شخصيته المبدعة بكل ما تحمله من طاقات مصورة ومعبرة ترتاد الآفاق وتوحد الرؤى. وهذا ما جعل الصورة الشعرية لدى خالد

(130) أشعار.. ص : 203.

الفيصل نمطا تعبيريا أخلصت له تجربته باعتبار أن التعبير ـ بما فيه من ذاتية وصدق، وما فيه من غوص وجمالية ـ ممارسة متفردة لا تُمنح إلا لمن حباه الله تعالى عمق الشعور ودقة الرؤية وسعة الخيال وروح الشعر وتوليد الصور وتناسل الدلالات... وهي قدرات جسدت في القصيدة واللوحة أغوار الذات والطبيعة والكون. لذلك أصبحت للصورة فيهما مكونات شعرية وقدرات إبداعية :

شمس نص الليل ما تحرق المتدفّي
نورها بالقلب والعين ما تجهرها

تشتعل بالقلب ساعه وساع تطفّي
والجدايل لَى انتشر شعرها تسترها

يا إشعاعٍ ساري بالدّجَى متخفّي
كل روحٍ لمسَها بالهوَى يغمرها

أرتعش بالشوق جفن الغرام ورفّ
والتوت نظره بنظره علَى حاجرها

والنّدَى نشوان فوق الزهر ماجفّ
والهوا غنّى علَى غصنها سامرها[131]

وتتعدد مصادر الصورة بين الذاكرة والتأمل والاستبطان، وتتنوع دلالتها بين الواقع والخيال، وتتوسل بعدة مقومات تتراوح بين الوصف والتصوير، كما تعتمد على آليات العقل والتخييل. لذلك

(131) أشعار.. ص : 226.

تضحى التجربة الفنية في رومها الكمال لدى خالد الفيصل مراعية طبيعة التمني البشرية، ومتمثلة معالم البيئة البدوية العربية، ومحتذية النزعة النفسية الوجدانية، ومجسدة فاعلية الحركة وحيويتها. وصورالمبدع في كل ذلك تغدو إنسانية بمقاصدها النبيلة وبسلوكها الفني، ويحقق كل ذلك سبل المتعة والألفة وسبل التواصل والانسجام بين مختلف الفنون الجميلة. وبذلك كانت ألوان الكلمة الشاعرة عند خالد الفيصل قد اكتسبت قيمة إيقاعية وتعبيرية تمثلت أبعادها في المناحي الآتية :

1- **البعد الإيقاعي للكلمة** المتمثل في جرس حروفها وتكرار تجنيسها، فكان أشبه بطاقة صوفية تعزز الصلات المعنوية التي تربط بين الوحدات المعجمية[132]. ولعل خاصيات التنغيم والنبر والموازنة والترصيع في أشعارخالد الفيصل قد بلورت سيرورة إيقاعية ودلالية لم تكن مجرد محسنات بديعية بالقدر الذي كانت نزوعا إبداعيا جسَّد الخلق الشعري.

2- **البعد الإيقاعي للقصيدة،** ورغم انتماء قصيدة خالد الفيصل إلى الشعر النبطي بأوزانه المتعددة وتشكيلاته المعاصرة، فإن ثقافة الأصالة والحداثة قد أبرزت مقوماته، نظرا لقدرات الشعر النبطي – باعتباره شعرا بدويا عربيا أصيلا – المتصل بعضها بأوزان الشعر العربي الفصيح، مما يحقق توازنا وتناسبا يجعل من بحر المنظوم شبيها بوزن الطويل، وبحرالصخري موازنا لوزن الوافر، وبحرالردح مقاربا لمجزوء الكامل، وبحر الهجيني موازيا لوزن الرمل، وبحر

(132) يرى ياكبسون أن تعادل الأصوات يتضمن تعادلا معنويا، راجع : في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1402 هـ/1982م.

السامر محاذيا لوزن المديد، وبحر المسحوب معادلا لوزن البسيط[133]. وقد استجابت شاعرية خالد الفيصل لإيقاعات أكثر البحور غنائية كالرمل والوافر والبسيط. وهذا ما يحقق توافقا بين الموسيقية النغمية والدلالية المعبرة. كما نجد تنوع إيقاع القصيد بحضور آليات الموشح والقصيدة الحوارية المغناة (الأوبريت)[134].

3- **البعد الإيقاعي للروي** من خلال تعدد أنماطه، ولعل نمط **المثناية** أوسع انتشارا في القصيدة النبطية الأصيلة... **فالناعِشة** (روي الصدر) **والكارعة** (روي العجز) يحققان نمطا قافويا، ورغم اختلافه أو تنويعه الإيقاعي هناك نمط آخر يُصرَّع فيه المطلع أو القصيدة برمتها حيث يتوحد الروي ويتآلف. وهذا ما سمي بالبحر الغزير. وفي كلا الاختلاف والائتلاف تصبح أرواء أشعار خالد الفيصل من القوافي الذلل[135] بما توفرت عليه ـ كشأن الشعر الفصيح ـ من استجابة قوية لطبيعة اللغة العربية، وهي في أغلبها شاعرية لما في الكثير من معجمها من صفات العذوبة والسلاسة والانسجام.

4- **البعد الغنائي للقصيد**، ومن مظاهر الشعرية لدى خالد الفيصل البعد الغنائي لأشعاره بما توفرت فيها من رقة العاطفة وعذوبة الألفاظ وحركية الجمل ونبل المقاصد... وكلها خصال مائزة تجسدت في تلك القصائد المغناة، إذ جمعت بين سحر الكلمة وتأثير الموسيقى،

(133) راجع فن الموضوع : الشعر النبطي في الخليج والجزيرة العربية، غسان الحسن، المجمع الثقافي، أبو ظبي. ط 1، 1990.

(134) راجع : الديوان الثالث لخالد الفيصل.

(135) من أرواء القوافي الذلل : كالباء والدال والراء والكاف والعين والميم والنون واللام والفاء والقاف والكاف والجيم والحاء والسين. راجع : المرشد لفهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1970، ص : 46/1.

مما جعل المتلقي المستمع يجدد قدراته في الوعي بين ما هو شعري وما هو موسيقي، فيسهم فهم الأول في تذوق الثاني، ويستوعب الثاني إحساس الأول. وفي كليهما يتوحد الإيقاع والتجاوب. ويتحقق التفاعل بين الانفعال والإدراك، وبين الإحساس والتفكير، مما يجعل أشعار خالد الفيصل المغناة والمنشدة إسهاما تربويا يرقى بالأدب والفن مراقي حب الجمال والخير والصدق.

5- **البعد الشعري للدلالة،** وتجلى عند الشاعر في توسله بمعجم لا يستمد عناصره من فصيح الكلمات فحسب، ولكن من شعريته التي اكتست كلماتها مقومات الفصاحة والإيحاء، فكانت "حية وملوّنة وحارقة ومنشدة ومزعزعة للإحساس"[136]. وفي سياق هذه الشعرية كانت الدلالة في سياقها العام تنشد الإبداع وترعى الحب وتنهج العدول[137].

وإذا تعددت هذه الأبعاد الإيقاعية بشتى ألوانها البارزة والمتوارية، في أشعار خالد الفيصل، فإنها حققت خطابا جماليا حظي لدى المتلقي المطلع بالاعتزاز، كما حققت نصا إبداعيا حظي لدى المتلقي المتذوق بالتقدير.

ب- إيقاع اللون :

إذا كان الشعر يتوسل بالإيقاع ويحاكى به، وإذا كان الرسم يتوسل باللون ويحاكى به[138]. فإن بين الإيقاع واللون انسجاما كبيرا ـ ليس

(136) كما ذكر جان كوهين، راجع في سيمياء الأدب القديم. م. س. ص : 42

(137) العدول مصطلح نقدي في التراث العربي يعني الانزياح في النقد المعاصر.

(138) راجع الشعر بين الفنون الجميلة، نعيم حسن اليافي، المكتبة الثقافية، ع 192، مصر 1968.

باعتبارهما أداتين لفني الشعر والرسم فحسب ـ ولكن بما لهما من تداخل ومحاكاة في سائر الفنون، فاللون يتوارى في تجسيد الصورة الشعرية كما يتوارى الإيقاع في الرسم. ولعل مرجع هذا الانسجام يعود إلى خاصية الإيحاء التي تحقق جوهر العمل الفني في سائر أشكاله وأنماطه، بالرغم من مظاهر الاختلاف بين الفنون. وهذا ما يجعل الشعرية – تعبيرا أو تجسيدا – مجالا خصبا لحيوية الحركة والحياة الكامنة في كل المشاعر والأحاسيس.

ولما كان خالد الفيصل يتملك شعرية الكلمة واللون ـ لكونها تجليا إبداعيا ـ كانت قصائده ولوحاته تصدر عن **"قيم تشكيلية"** في الإيقاع واللون ـ لكونها عنصرا أساسيا في الإمتاع الفني ـ وقد ميزها بكثير من الانسجام والتوحد. وفي ذلك تفرد عبقري يجلّي بعض معطيات خالد الفيصل الفنية ويعكس بعض مكونات الفروسية الشعرية لديه.

ويمكن تلمس إيقاع اللون في لوحات خالد الفيصل من خلال المظاهر الآتية :

1- تجليات الفروسية، وهي تجسد في لوحة **"نشوة العز"** تناغم إيقاع الحركة وألوان الفجر بكل ما تعبران عنه من عزة النفس/الهوية، وشموخ الفارس/القدوة، ونبوغ الفنان/المبدع. ويعتبر موضوع الفروسية لدى الأمير الشاعر استجابة لمسؤولياته التي يضطلع بها ويتخلق بسمو سلوكها ونبل مقاصدها، وهو يفعِّل ماضيه المجيد ويستشرف مستقبله المأمول.

2- تجدد الطبيعة، ولا تمثل الطبيعة مجرد محاكاة لاتجاه واقعي، بقدر ما تتجدد إرهاصاتها الجمالية المعبِّرة عن الإحساس الصادق المتضمن للون والإيقاع، وهو ما يكسب موضوع اللوحة جديته، ويعمق أصالة صوره في أعماق الذات العربية.

ولم يكن اهتمام خالد الفيصل بلحظات الغروب خاصة إلا إيذانا بفجر جديد تتحقق فيه الآمال ويسود فيه التفاؤل، كما لم تكن أيضا مظاهر الأفق والجبال والطيور إلا تطلعا لفضاء الارتقاء بالمشاعر والمواقف والتشبث بالحرية وإحساس الذات بهويتها. لذلك كان تجاوب خالد الفيصل مع الطبيعة واستلهام واقعيتها تعبيرا عن قيم الصدق والجمال وقيم الخير والعطاء، لأنه استطاع أن ينقل الصور من حسيتها إلى عطاء شعري روحي صوفي.

3- استلهام الدلالة، ويتمثل نبوغ خالد الفيصل في تجسيد الشعر باعتباره صورة بصرية جميلة يتعمق دلالتها ويستوحي تجلياتها. وبحكم اطلاعه على الشعر العربي، استطاع - وهو الفنان القدير أن يحيل الشعر – وهو كلام معبر– إلى صور تتماهى فيها الدلالات والألوان، وكأنه يقيم إبداعا على إبداع آخر، أو يوحد بين الرؤى الإبداعية المتميزة فيه بمظهرين اثنين :

❖ قراءة شاعرة – بتمثلاتها الإنشادية والبصرية – تضفي ألوانها وأشكالها أبعادا جمالية جديدة على الإبداع العربي.

❖ خيال جامح بالرؤية الانزياحية سواء تجلى في ابتكار الصورة أو في تجسيده ألوانا بصرية معبرة، وتضفي قيمه الفنية على وعي المتلقي

الكثيرَ من معالم الإحساس بالجمال المطلق والإقرار بكل ما يثيرالإعجاب ويفعِّل التذوق.

ولم يكن حضور أشهر الشعراء[139] من خلال عيون أشعارهم في لوحات خالد الفيصل إلا تطلعا جماليا تناسب فيه ما هو حرف وجرس وما هو ضوء وظل... وبينهما اتزان وتوازن تحققت مقاصدهما في تبادل المشاعر وتجدد سبل الإبداع.

4- إنسانية المشاعر، وهي– رغم ما تعكسه من تناقضات اجتماعية– مقصد كبير نال من الأمير الفنان اهتماما ظهرت تجلياته في معاناة الضعفاء والمقهورين... وكأنه في ذلك يدعو إلى التشبث بقيم الصبر والتكافل والتشبث بقيم الأمل والحلم.

5- حركية الأفكار، وتعكسها الألوان الممتزجة التي تضحى لها أبعاد كثيرة حسب اختيار المواقف المعبرعنها، لذا تلعب الألوان المجددة دورا إبداعيا كبيرا يعكس مدى تواصل الفنان مع أفكاره، ومدى توسله بالواقع، ومدى استشرافه المستقبل. وذلك من خلال رصد تناغم الإيقاعات المتماوجة وتناغمها مع الألوان الموحية وما يسودها من التوافق والانسجام.

وقد اكتسب خالد الفيصل هذه المظاهر من قدراته الفنية التي يتمتع بها، مسهما من خلالها في تعبيد منهج فني متكامل يلم بمجد الماضي وبَسمة الغد، ويرسخ طرائق الذوق والتأمل، ويعي معطيات

(139) تمثل الشاعر بأبيات شهيرة من شعر عنترة بن شداد وامرئ القيس ومجنون ليلى وعمربن أبي ربيعة وأبي صخر الهذلي والوأواء الدمشقي والعباس بن الأحنف وأبي الطيب وأبي فراس والمعتمد بن عباد..

الذات والهوية. وفي خصائص هذا المنهج الفني تتجسد جملة من الفعاليات الفنية التي تغني مسيرة خالد الفيصل الفنية المعطاء. ويمكن إجمالها فيما يأتي :

أ – **تفاعل الصورة الشعرية وألوان اللوحات** بما سادهما من شاعرية خلاقة.

ب– **تناغم الألوان وتكاملها** في سياقات روافدها الواقعية والجمالية.

ج– **خصوبة الأدوات الفنية** التي أثرت الإبداع بعمق الألوان واستبطان الدلالات.

د – **سيطرة الألوان على الصورة،** باعتبار أن الألوان هي التي تبرز تفاعل الذات والموضوع، وانسجام الأشكال والظلال، وتداخل الأبعاد والانعكاسات.

هـ – **تماهي الأفكار،** وهو تمثل في عمقه تجليات لعالم المثل والقيم في ضوء ممارسة وعي الذات وتأمل الكون.

وفي مقاربتنا للون الكلمة وإيقاع اللون توجه يستوحي من تجربة خالد الفيصل الفنية تجربة وجدانية وإنسانية، وهي تتلمس عدة مقاصد يمكن إبرازها فيما يأتي :

أ– **التوحد** الذي يجعل المتلقي يعانق الشعر واللوحة فيحس بمشاعرهما وأفكارهما، وكأنه يدرك بؤر الإبداع لدى الفنان.

ب – **الجمال** وهو غاية الفن ومقصده بما توافر فيه من عناصر المتعة واللذة الفنيتين.

ج – **الألفة** التي تقيم علاقة وطيدة بين الفنان المبدع وبين المتذوق المتلقي وبين الشعرية المتدفقة بكلماتها وألوانها.

د– **صدق الرؤية** المفعِّلة للتجربتين الفنية والثقافية بما يشحن الحياة بالعديد من المقومات العقلية والجمالية.

هـ – **تطهير ذاكرة المتلقي** بالعودة إلى أصفى ينابيع الحب والخير وكأنه المعادل الموضوعي لتجربة الشاعر الخبير بشؤون الحياة والفن.

ورغم ما في هذا المقاصد من تداخل، تبقى تجربة سمو الأمير خالد الفيصل الشاعر الفنان أكبر من أية مقاربة، لأنها تجربة رائد خبر دقائق الكلمة الشاعرة وأسراراللوحة المعبرة... فكان بحق أمير الشعر والرسم ومالك اللون والإيقاع وسيد الخيال والإبداع.

خـاتـمـة

إن طبيعة الإبداع في أشعار خالد الفيصل ولوحاته قد اكتست فروسية شعرية، تمثلت في شتى العلاقات التي ربطت الشاعر والفنان والإنسان بالذات والإبداع والآخر، وأقرّت الخصال الفاضلة التي طبعت إبداعه بالكثير من المقومات الفنية والمعطيات الجمالية، مما جعل سموه يسعى إلى توطيد فروسية فنية تتداول فيها الأسس الفاعلة الآتية :

أ – **إقرار المحبة والطبيعة** باعتبارهما من أجدى وسائل الدعوة إلى الخير والفضائل.

ب – **تمثل الثقافة الإبداعية** وما تتطلبه من مقومات في إدراك جمالية الكلمة واللون.

ج – **السعي إلى إحياء النموذج الإبداعي** المتمثل للقيم الفنية المتميزة التي أبدعتها الذات الشاعرة.

د – **الوعي بالممارسة الفنية** بفهم وظيفتها وإنجاز صناعتها والوعي بمقاصدها...

وهي أسس ارتكزت على دعائم الإيمان والهوية، وكان الإبداع فيها مرتبطا بالتربية والفكر. وفي ذلك تلازم وانسجام سادا الرؤية الإبداعية لدى خالد الفيصل، فكانت تجلياتها موسومة بالفروسية

سواء في إدراك دلالاتها العميقة أو في امتلاك أدواتها الفنية. وهذا ما يجعل فروسية الكون الشعري في إبداعه يتمازج فيها لون الكلمة وإيقاع اللون، وكلاهما من تحقيق «أمير ريشةٍ وقلم، ومالك أعنَّة الخيال والإبداع»[140]، وكان «خياله الفني بوصفه رساما لا يقل عن خياله الفني المبدع بوصفه شاعرا»[141].

ومن ثم كانت الفروسية الشعرية في إبداع سمو الأمير خالد الفيصل منحى نقديا بنّاء رسم لناقد أشعاره مسالك تجربته الإبداعية بكل مقوماتها :

نـــاقـــد الأشـــعار لك مـــنّي ســـلام
والـــتـــحـــيّـــه لـــلـــفـــكر والاحـــترام
فـــرحـــتـــي لَـــى شـــفت لك رايٍ جـــديـــد
أو نـــظـــرت لـــبـــعض شـــعري بـــاهـــتـــمـــام
يـــا رفـــيـــق الـــحـــرف فـــي دنـــيـــا الـــقـــصـــيـــد
عشـــقـــتـــي ويّـــاك فـــي عـــذب الـــكـــلام
أنـــظـــم الـــنّـــظـــره بـــخـــفـــقات الـــقـــلـــوب
وأنت تـــنـــشـــرهـــا دموعٍ وابـــتـــسام
الـــقـــمـــر.. والـــلّـــيـــل وأمـــواج الـــبـــحـــر
والـــزّهـــر.. والـــغـــيـــم وأصـــوات الـــحـــمـــام
والصّـــقـــر.. والرّيـــم والـــغـــوج[142] الأصـــيـــل
والصّـــحـــاري لَـــى زمت فـــيـــهـــا الـــخـــيـــام

---

(140) كلمة الأستاذ عبد الهادي بوطالب ضمن كاتالوج معرض الرباط، 1999.
(141) كلمة الأستاذ أحمد محمد ضبيب ضمن، م. س.
(142) الغوج : الحصان الأصيل.

هـي هـواي.. الّـلـي أغـنّـي لـه طـرب
هـي مـن أيّـام عـنـدي غـرام
أكـتـب الإنسـان بـألوان الـحـروف
فـي حـقـيـقـة عـلـم أو غـيـبة هـيـام
أتصـيّـد خـاطرٍ عـنـد السـحـر
أو ومـيض الـفـكـر فـي جـنـح الـظـلام
وأمـزج شـعـوري مـع حسـن الـقـبـيـل
فـي قصـيـدٍ مـثل نـدّاي الـغـمـام
نـاقـدي خـذ حـرفـي وحـل الرّمـوز
وحـلّـل الـمـعـنَـى بـوجـد الـمسـتـهـام
وإن لـقَـى الـهـاوي خـيـالـه بـالـقصـيـد
خـبّـره تـرانـي حـقّـقـت الـمـرام[143]

فجدير بنا أن نستغور عطاء خالد الفيصل الفني لنستلهم منه تلقيا جماليا يسهم في تذوق أكثر الممارسات فنية في علم الجمال وفي سلوك القدوة. فمرحي بالفروسية الشعرية التي تلهج بذكرها أعنة فارس خبر إبداع الكلمة واللون. إنها **الفروسية الشعرية في إبداع خالد الفيصل.**

(143) أشعار..... ص : 435-436.

المصادر والمراجع

- **أبو سالم العياشي، الأديب المتصوف**، د. عبد الله بنصر العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.
- **الأخلاق ومشكلة الحب**، عبد الله بنصر العلوي، (مقال مرقون)، 1975.
- **أشعار خالد الفيصل**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1421هـ/2000م.
- **الأعلام، قاموس تراجم**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1976.
- **الأندلس 8 قرون من التقلبات والعطاءات**، ندوة محكمة، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط 1، 1966/1417.
- **البطولة الشعرية في أدب المغاربة**، د. عبد الله بنصر العلوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، س 2، ع. 5، محرم 1415 يونيو 1994 ص ص : 24-31.
- **البطولة الشعرية في الشعر المغربي المعاصر**، د. عبد الله بنصر العلوي، الملتقى الشعري التاسع، المجموعة الحضرية لفاس الكبرى، ندوة تكريمية للشاعر أحمد المجاطي، يونيو 1995. دراسة ضمن كتابنا : في الأدبية المغربية، فاس، 2003.

- **البطولة في الشعر العربي**، د. شوقي ضيف، سلسلة إقرأ، دار المعارف، مصر.

- **البطولة وتجلياتها في الشعرية الإماراتية**، د. عبد الله بنصر العلوي، 1998 (مرقون).

- **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط 2، 1978.

- **التفضيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني**، د. شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، ع 276، مارس 2001.

- **الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التطور والتقليد**، د. نورية صالح الرومي، ط 1، الكويت، 1980.

- **الحيوان**، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون طبعة الحلبي، ط 2، مصر، 1385هـ/1965م.

- **خطاب العروبة في الشعر العربي**، د. مانع سعيد العتيبة، أبو ظبي، 2000.

- **الخيل والفروسية، دراسة بيبليوغرافية**، إعداد د. ناصر محمد السويدان، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الأعمال المحكمة (13) الرياض 1416-1995، ص : هـ

- **ديوان أبي تمام بشرح التبريزي**، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر ط 2، 1972.

- **ديوان الأبيوردي**، تحقيق عمر الأسعد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1974.

- **الشاعر عبد الله الفيصل بين مشاعر الحرمان وغربة الروح**، بإشراف سعاد محمد الصباح، الكويت، 2001.

- **شاعرية المكان**، د. جريدي سليم المنصوري الثبيتي، جدة، ج 1، 1412-1991.

- **الشعر السعدي : تفاعل الواقع والفكر والإبداع**، د. عبد الله بنصر العلوي، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2006.

- **الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية**، د. غسان حسن أحمد الحسن، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط، 1، 1990.

- **الشعر بين الفنون الجميلة**، د. نعيم حسن اليافي، المكتبة الثقافية، ع 192، مصر، 1968.

- **الفروسية العربية في العصر الجاهلي**، سيد حنفي، سلسلة إقرا، (211) دار المعارف، مصر، 1960.

- **الفروسية الشعرية عند عبد الله باشراحيل**، د. عبد الله بنصر العلوي، بيروت، 2004.

- **في سيمياء الشعر القديم**، د. محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 1402هـ/ 1982م.

- **القصيدة عند مهيار الديلمي**، د. محمد الدناي، رسالة جامعية، كلية الآداب فاس، 1980 (مرقون).

- **القصيدة المادحة**، د. عبد الله الطيب، الخرطوم، 1973.

- **عبد الله الفيصل**، حياته وشعره، منيرة العجلاني.

- **كاتالوج معرض سمو الأمير خالد الفيصل**، الرباط، 1999.

- **الكامل في اللغة والأدب** لأبي العباس بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، ط 1، بيروت، 1406.

- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر.

- **المرشد لفهم أشعار العرب وصناعتها**، د. عبد الله الطيب، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1970.

- **مساحة الحضور الشعبي في الثقافة العربية المعاصرة**، د. خليل أحمد خليل، المجلة العربية للثقافة، تونس، ع : 36، مارس 1999.

- **مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين، قضايا ونماذج**، د. الشاهد البوشيخي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات القلم، باريس، ط 1، 1993.

- **المصطلح النقدي في نقد الشعر**، د. إدريس الناقوري، دار النشر المغربية الدار البيضاء، 1982.

- **مع أبي تمام الناقد**، د. عبد الله الطيب، مجلة دراسات أدبية ولسانية (المغرب) ع. 4، 1986.

- **المكون الميتاشعري في القصيدة الحديثة بالمغرب**، لمحمد علوط، العلم الثقافي، س. 26، 7 أكتوبر 1995، ص 7 و10.

- موسوعة زايد، **الإمارات والتراث**، حمدي تمام، ط 1، ديسمبر، 1992.

- **نجديات الأبيوردي**، د. محمد بن عبد الرحمن الربيع، المكتبة السعودية، ط. 1، 1403هـ/1983م.

نجد والحجاز في الذاكرة الشعرية الأندلسية، د. عبد الله بنصر العلوي، ضمن السجل العلمي لندوة : الأندلس 8 قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط 1، 1417/1966 م 4، ص. ص : 389-421.

- **نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد**، د. ألفت كمال الروبي، دار التنوير والطباعة والنشر، بيروت، ط. 1، 1983.
- **النقد الأدبي الحديث**، د. محمد غنيمي هلال، ط. 4، 1969، القاهرة.

الفهـرس

الدكتور عبد الله بنصر العلوي

– أستاذ جامعي بكلية الآداب جامعة محمد الأول بوجدة 1978-1982
– أستاذ جامعي بكلية الآداب جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس 2005-1982
حاصل على دكتوراه الدولة من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس 1992
– مستشار الجمعية المغربية للتراث (1988)
– عضو لجنة وضع مشروع المعجم الحضاري لمدينة فاس، أبريل 1992
– عضو منتسب للجمعية السورية لتاريخ العلوم – حلب – سوريا 1998
– رئيس المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية، فاس
– منسق مجموعة البحث في التفاعل الثقافي المغربي السعودي 2006
– عضو مجلس أمناء مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري 2008
مشارك في عدد من الندوات والمؤتمرات الوطنية والعربية

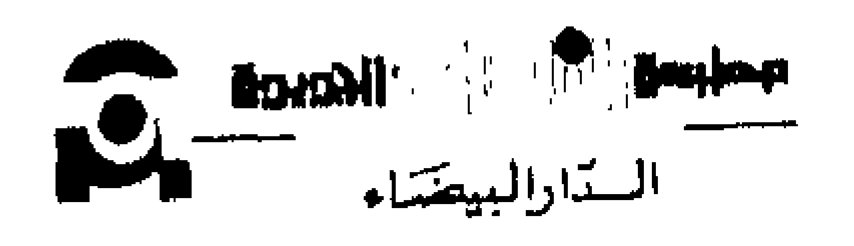
المؤلفات المطبوعة

– أبو سالم العياشي الأديب المتصوف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1998
– أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية لأبي الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي المراكشي، تحقيق ودراسة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999

- أبو فراس الحمداني وشعره في المصادر والمراجع العربية والأجنبية، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000 (بالاشتراك مع أ.د محمد الدناي).
- في الأدبية المغربية، فاس، 2003
- الفروسية الشعرية عند عبد الله باشراحيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004
- الشعرالسعدي : تفاعل الفكر والواقع والإبداع، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس 2006
- الفروسية الشعرية في إبداع خالد الفيصل، الدارالبيضاء، 2008.

المؤلفات المرقونة

- مدخل إلى الحركة الأدبية في العصر السعدي.
- في الشعريةالعربية.
- المدحة النبوية في الأدبية المغربية
- الخطاب البصري في القصيدة العربية
- التواصل الإبداعي بين شعراء المغرب العربي
- فاس... أو جمالية المكان في الشعر العربي
- سبتة في ذاكرة الشعر العربي
- في تاريخ العلوم عند العرب.
- البطولة وتجلياتها في الشعرية الإماراتية.
- في الأدبية الإماراتية.
- من تجليات عبقرية الشيخ زايد.


الـدار البيضاء



خالد الفيصل

إذا كان سمو الأمير خالد الفيصل قد اختار المشاركة في المجالين معا، فلأنه ملك نواصي الإبداع مجتمعة حيث التلاحم بين الكلمة والريشة فعبَّر عن الصورة ورسم الجملة بقدر كبير من الشاعرية والانسجام. وكأني بالشاعر المبدع - أي شاعر - لا يرتقي بإحساسه إلا إذا استطاع أن يرتاد كونا شعريا تتجمع فيه الفنون لا بإدراكها فحسب، ولكن بممارستها. وذلك ما يجعل خالد الفيصل في أشعاره ولوحاته نموذجا لشاعرية يلتحم فيها سمو الكلمة ورقي الصورة بما أودع فيهما من طاقات إبداعية جُلَّى وبما حقق لهما من رؤى شعرية موحدة بينهما.